الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر
دار الكاتب العربي



اليهود فى الأندلس

تأليف : الدكتور محمد بحر عبد المجيد

اهداءات ٢٠٠١

ا.د. محمـــمــــد ديـــــاب

جراح بالمستشفي الملكي المصري

المكتبة الثقافية
(جامعة حرة)
٢٣٧

اليهود فى الأندلس

تأليف : الدكتور محمد بحر عبد المجيد

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

١٩٧٠

مقدمة

يتضمن هذا الكتاب قصة اليهود فى الأندلس من خلال أعمالهم الأدبية فى فترة من أزهى فترات الأدب العبرى ٠ والحقيقة انها قصة من قصص التسامح العربى الذى منح لليهود عند فتح العرب للأندلس ٠ ورايت أن أعرض حال اليهود فى اوروبا عامة وفى اسبانيا خاصة قبل الفتح العربى ٠ وقد حاولت ان اوضح حقيقة اعتقد انها لم يظهرها الذين كتبوا عن تاريخ اليهود فى اوروبا بوضوح ، هذه الحقيقة هى ان الشعوب الأوروبية لم تضطهد اليهود نتيجة للتعصب الدينى ـ وان كان هذا هو الذى وضح للمؤرخين ولكنى ارى ان اليهود هم الذين اجبروا مواطنيهم من الأوربيين على اضطهادهم نتيجة لاعتقادهم أن جنسهم افضل اجناس الأرض ، ويحق لهذا الجنس ان يحتقر غيره من بنى البشر ٠

ويتناول هذا الكتاب تاريخ الأدب العبرى من حوالى ٩٥٠ ـ ١٢٥٠ م ، وهذه الفترة هى التى تسمى بالعصر الذهبى للأدب العبرى ، وقد استحقت هذا الوصف لازدهار

اللغة العبرية وآدابها فيها ، فقد ظهرت فنون أدبية عديدة لم تعرفها العبرية من قبل · وكان هذا الازدهار نتيجـــة لاحتكاك اليهود بالعرب وتقليدهم لهم · وقد استطاع اليهود فى هـذه الفترة أن يؤلفوا كتبا ما زالت تعتبر من أمهات الكتب فى اللغة العبرية وآدابها · ولم يكن هذا الازدهـار الفكرى بين اليهود الا ثمرة من ثمار الحـرية السـياسية والاقتصادية والأدبية التى حظى بها اليهود من العرب الفاتحين للأندلس ·

« المؤلف »

الفصل الأول

حالة اليهود في أوروبا وأسبانيا قبل فتح العرب للأندلس

اليهود قبل دخول المسيحية اوروبا :

استوطنت مجموعات كبيرة من التجار اليهود بعض البلاد الأوروبية عام ٧٠ م قبل أن يهدم تيتوس الرومانى المعبد اليهودى فى أورشليم . ولما هدم المعبد سبى الرومان آلافا من اليهود وباعوهم فى أسواق النخاسة الأوروبية . ولما رأى أغنياء اليهود الذين توطنوا أوربا ، ان ابناء دينهم يباعون عبيدا لغير اليهود ، ثارت فيهم الحمية الدينية والعصبية ونهضوا لتحرير اخوانهم العبيد بشرائهم ثم عتقهم وبهذا الشكل تكونت جاليات يهودية كبيرة فى البلاد الأوروبية . ثم بدأت هذه الجاليات تتجمع لتكون أحياء ذات صبغة يهودية خالصة . وحقيقة أمر تكوين هذه الأحياء الخاصة انها نظرة عنصرية يهودية ، ذلك لأن اليهودى الربانى يعتقد أن اليهود أفضل أجناس العالم ، فالتلمود يعترف بقدسية اليهودى ، فى مبحث « عفودا زارا » ص ٣ أ : (ان الله يقول ان اسرائيل ابنى البكر) . وفى ص ٤ أ من نفس المبحث يذكر التلمود : (قال الله لاسرائيل : لن أعامل فى حكمى اسرائيل كالأمم الأخرى فسأحابيهم حتى ان لم تعمل اسرائيل حسنات الا قليلا تافها كروث الدجاج

المتناثر فى الحظيرة ، ساجمع هذه الطيبات لتكون حسنات لغيره لهم) .

واليهود بناء على هذا .ونحت تأثير قراءاته الدينية ، تؤيدها النصوص العديدة من التلمود . يؤمن أن هذا العالم لم يخلق الا من اجله ، فمن حقه أن يحتقر غير اليهودى خاصة أن مبحث يباموث ص ١٠٩ ب ينص على عـــدم الاختلاط « بالجوييم » أى غير اليهود .

وقــد عزز فكرة تكتل اليهود فى أحياء خاصة بهم واستقلالهم بها اعتقادهم أن الآخرين يكرهونهم ، ويحقدون عليهم ويقسون فى معاملتهم لهم (التلمود ، مبــحث عفودا زارا ص ٨ أ) . ولقد أحاط اليهود أحياءهم هذه بأسوار يغلقون أبوابهـــا عند غروب شمس كل يوم ، وان كانت حجتهم فى اقامة أحياء يهودية خالصة هى أن لهم تقـــاليد وعادات خاصة بهم لا يريدون اطلاع غير اليهود عليها .

أما المهن التى اشتغل اليهود بهـــا فى أوروبا فكانت التجارة أساسا الى جانب حرف أخرى يعملون بها كالصياغة والحدادة .

لم يشتغل اليهـــود بالزراعة ولو أنهم حرصوا على امتلاك أراض زراعية فى كثير من البلاد التى حلوا بهـــا . وكان حرصهم على امتلاك الاراضى ينبع من تمسكهم بما جاء فى التلمود «ان الرجل الذى لا يملك أرضا لايعتبر انسانا» (يباموث ص ٦٣ أ) .

وقد حرص اليهود على أن يتقربوا الى حكام البلاد الاوربية التى كانوا يحلون بها بكل الطرق الشريفة وغير الشريفة وعن طريق الهدايا والرشوة ليحتموا بهم وليكونوا مأمنا لهم من غضبة الشعب التى كانوا يتوقعونها دائما لشعورهم بأنهم مكروهون أينما حلوا · ويبدو أن هذا الشعور هو الذى جعل الجاليات اليهودية تختار الحى الخاص بها عادة قريبا من قصور الحكام ·

اليهود بعد دخول المسيحية اوروبا :

عادى اليهود المسيحية من أول وهلة دخلت فيها أوروبا ، وكانوا ينظرون الى أن هذا الدين الجديد الذى يعترف بكتابهم المقدس انما جاء ليهدم مبادىء الربانيين المتضمنة فى التلمود والتى تنادى بسمو اليهود كجنس وتدعو الى أن اليهود من عنصر يختلف عن عنصر سائر البشر · وعارضوا مبادىء الدين المسيحى الذى ينادى بالمحبة والاخاء بين بنى البشر · وتصدوا لهذا الدين الجديد ووصفوه بأنه الدين الذى يسعى الى تخريب مبادىء التلمود ناموسهم الاساسى الذى لا تقل قدسيته فى نظرهم عن العهد القديم · وقاموا بشن حملة من التهم والافتراءات على مؤسس المسيحية وحوارييه وتلاميذه تستهدف تسفيههم والحط من قدسيتهم ·

وبالرغم من هذه المعارضة من قبل اليهود بدأت المسيحية تنتشر بين شعوب أوروبا الوثنية ، وقد حز ذلك

فى نفوس اليهود ولم يرتضوا لهذا الدين الذى يدعو الى الرحمة والمساواة أن يأخذ طريقه الى نفوس شعوب أوروبا بسهولة ، فكانوا ينتهزون فرصة تقربهم الى الحكام الوثنيين لتحريضهم ضد الدين الجديد ومن يعتنقه ، وكان يساعدهم على ذلك جهل بعض هؤلاء الحكام وثقة بعضهم فى اليهود كانطونيوس بن أسريروس المعروف بماركوس أورووليوس الذى اعتلى عرش الامبراطورية الرومانية بعد عمه المشهور بانطونيوس الفاضل(١) . ففى عهد أنطونيوس هذا عاش رباى يهودى انتهز ثقة هذا الامبراطور به ثقة كانت تصل الى حد استشارته فى أمور كثيرة سواء المتعلق منها بالامور العامة والخاصة(٢) . وقد استطاع ذلك الرباى اليهودى أن يخلق من الامبراطور عدوا لدودا للمسيحية والمسيحيين .

وقد أدى العداء الذى تحكم فى نفس الامبراطور ضد المسيحية(٣) الى اصدار أمر بقتل جنوده العائدين من الحرب ممن يعتنقون المسيحية . هذا الى أن ذلك الرباى قد ألقى فى روع صديق الامبراطور الساذج بوهم أن المسيحيين يجلبون أمراضا معدية تفتك بالشعوب واستصدر منه أمرا بابادة المسيحيين القاطنين فى روما وقتئذ .. ويستطيع القارىء لكتاب «سدر هادووروث» و « سفريوحاسين » أن

---

(١) راجع Webster's Biographical Dictionary, p. 968.

(٢) التلمود ـ مبحث عفودا زارا ص ١٠ أ + ب ، ١١ أ

(٣) راجع دائرة المعارف البريطانية جزء ١٤ ص ٨٧١ .

يدرك مدى الاضطهادات التى عاناها المسيحيون الاوائل من قبل الحكام الوثنيين الذين كان اليهود يشترونهم بأموالهم. وقد استمر اتجاه البطش بالمسيحيين حتى القرن الرابع الميلادى حين اعتنق الامبراطور قسطنطين المسيحية .

وباعتناق هذا الامبراطور للمسيحية تغير الوضع بالنسبة للمسيحية . ففكر اليهود فى أسلحة جديدة يستعملونها ضد المسيحية التى بدأت تنتشر انتشارا واسعا فى أوروبا . وتوقع اليهود موجة من الاضطهادات على يد المسيحيين غير أن المسيحيين فى معاملتهم لليهود التزموا بالآية التى تقول : سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا (انجيل متى ٥ : ٣٨ ، ٣٩) ، لكن اليهود لم يكفوا عن محاربة هذا الدين وانحصرت معركتهم بعد ذلك ضد الدين الجديد فى مناقشة رجال الدين المسيحى حول شرعية ظهور المسيحية . ولم يتدخل عامة المسيحيين فى النزاع القائم بين اليهود ورجال دينهم، ربما لأنهم هم أنفسهم كانوا لا يعلمون كثيرا عن هذا الدين. وبمرور الزمن أدرك رجال الدين المسيحى أن اليهود يشكلون خطرا على الدين المسيحى الحديث على أوروبا .. وأن الحرية الممنوحة لليهود يجب أن تحد لحماية مبادىء الدين المسيحى وأسسه . فقرر رجال الدين ـ تؤيدهم فى ذلك الحكومات ـ التفرقة بين اليهود وغيرهم من المواطنين فى التمتع بالحقوق المدنية وجعلوا اعتناق المسيحية جوازا

للتمتع بهذه الحقوق والمساواة أمام القانون ، وقرروا أيضا معامله اليهود كجماعة لا كأفراد فى الواجبات ، فمثلا كانت تعرض الضرائب عليهم كجالية يهودية وليس كأفراد كما كان يتبع مع المسيحيين الذين كانوا يدفعون الضرائب كأفراد (١) .

ولم تكن هذه الاجراءات التعسفية التى فرضتها الكنيسة والحكومات المسيحية ضد اليهود نتيجة لكره اليهود للديانة المسيحية فقط بل ان هناك عوامل أخرى كالعوامل الاقتصادية (٢) أدت الى زيادة كره الشعوب والحكومات لليهود وأجبرت الحكومات المسيحية أن تسن قوانين للتفرقة فى المعاملة بين اليهود وغيرهم وفرض ضرائب باهظة على اليهود .

فاليهود كما ذكرنا سابقا اشتغلوا بالتجارة فكانوا يحتكرون بضائع معينة مثل الصوف والحرير والقمح والذهب والفضة ويتحكمون فى الاسواق . وكانت نتيجة احتكارهم لتجارة الذهب والفضة تحكمهم فى مصائر البلاد الاقتصادية التي يعيشون فيها ، فيصيبونها بالكوارث الاقتصادية اذا رأوا أن فى مصلحتهم ذلك . كذلك فانه من الاسباب التى جعلت الاوروبيين يكرهونهم سعيهم الحثيث الى الغنى الفاحش بطرق دنيئة مثل جمع العملات

---

(١) راجع مثلا Cecil Roth, History of the Jews in England, Oxford, 1941, p. 24.

(٢) نفس المرجع

الذهبية والفضية وبرد أطرافها ثم طرحها فى الاسواق(١)· هذا الى جانب أنهم كانوا يقومون باقراض الاموال التى يجمعونها للأفراد والهيئـــات والكنائس بربا فاحش حتى أصبحت كلمتا يهودى ومرابى كلمتين مترادفتين ·

وكثيرا ما كان اليهـــود يلاقون مناعب فى استرداد قروضهم · فكانوا يلجأون الى رشوة الحكام لمساعدتهم فى الحصول على هذه القروض بالقوة(٢) ·

وهنـــاك عامل مهم كان سببا فى اشمئزاز شعوب أوروبا من اليهود · ففى القرون الوسطى قام اليهود بذبح بعض الاطفال الأبرياء لأداء بعض الطقوس التى لها طابع سحرى ربما بواعز من الكتب السحرية ذات الطابع الدينى مثل الزوهر والتلمود · ويحاول كثير من الكتاب اليهود المعاصرين نفى هذه التهم التى وجهت لليهود وتبرئة اليهود من جرائم الذبح وتبريرها بأنها أعمال شاذة قام بها بعض اليهود المخمورين ــ ولكننا اذا قبلنا تبرير حادثة واحدة أو اثنتين فلا نستطيع أن نقبل تبرير عشرات الحوادث التى ثبتت وسجلت فى وقت حدوثها واعترف اليهـود كطائفة آنذاك باقترافها ، فعلى سبيل المثال أخذ اليهود طفلا يدعى وليم فى ليلة عيد فصح سنة ١١٤٤م وكان يقطن مقاطعة Norwich بانجلترا الى غابة ونزفوا دمه · ولما اكتشف

---

(١) نفس المرجع ص ٧٤

(٢) نفس المرجع ص ٦

الأهالى الجثة وتحققوا أن القتله هم يهــود المقاطعة ثاروا وصمموا على الانتقام من اليهود فلما أدرك اليهود ذلك ذهبوا الى حاكم المقاطعة ورشوه بالمــال ففتــح لهم قلعة المدينة ليحتموا من غضــبة الأهالى . وهنــاك أمثــلة كثيرة (١) لا يستطيع المدافعون عن اليهود أن يبرروها .

هذا وقد كان اليهود عاملا من عوامل اشاعة الفرقة والفتن بين الممالك وذلك للصيد فى المــاء العكر . وعند نشوب الحروب كانوا يقومون بدور الجواسيس .

اليهود فى اسبانيا قبل دخول الاسلام :

كان اليهود ينتشرون فى معظم ممالك أوروبا ولكن كان عددهم يزداد على مر السنين بأسبانيا حتى أصبحت أسبانيا يسكنها أكبر جالية يهودية فى أوروبا ، ويرجع اقبال اليهود على الهجرة الى أسبانيا الى أن ملوك القوط الوثنيين الذين حكموا أسبانيا قبل دخول المسيحية منحوهم حريات حرموا منها فى البلاد الاخرى . وبدخول المسيحية أسبانيا تغيرت المعاملة بالنسبة لليهود . بدأت الاضطهادات ضد اليهود خصوصا بعد القرارات التى اتخــذها المجلس الكنسى الذى عقد فى بلدة ألبيرا سنة ٣٠٣ وسنة ٣٠٤ م . وتتلخص هــذه القرارات فى النداء الذى وجهه المجلس

---

(١) راجع مثلا Earliest Licoln Assize Roll (Licoln Record Society, p. 966.

للمسيحيين بألا يختلطوا باليهود في المسكن والمأكل وألا يسمحوا لرجال الدين اليهودى بأن يباركوا محاصيلهم كما تعودوا من قبل (١) ·

ولم يأخذ هذا النداء صفته الرسمية الا بعـــد اعتناق الملك ريكاردو المسيحية ، فقد كان ريكاردو يكره اليهود ، ففى آخر أيامه تقدم باقتراحات الى المجلس الكنسى الذى انعقد فى سنة ٥٨٩ م بطليطلة تتلخص فيما يلى :

١ ـ منع استخدام اليهود للمسيحيين فى أى نوع من الأعمـــال ·

٢ ـ ضرورة عتق أى عبد مسيحى مملوك ليهودى ·

٣ ـ فصل كل اليهود الذين فىخدمة الحكومة ومراعاة عدم تعيينهم مستقبلا ·

٤ ـ منع زواج المسيحيات باليهود ·

٥ ـ منع الختان الذى كان يفرضه اليهود على عبيدهم وخدمهم ومعاقبة أى يهودى يفرض الختان على خدمه وعبيده بمصادرة أملاكه ·

٦ ـ ضرورة تعليق اليهودى شارة مميزة فىمكان ظاهر حتى يعرفه الجميع ·

وقد وافق المجلس على هـــذه الاقتراحات وأصبحت قانونا فى الدولة ولـكن تنفيذها لم يكن صارما شـــأن أى

---

(١) Graetz, History of the Jews, vol. II, p. 627

قانون في القرون الوسطى . فاستمر بعض المسيحيين عبيدا لليهود ولم يمتنع اليهود عن مخالطة المسيحيات . وعلى العكس بدأ اليهود يستهزئون بالمسيحية ومعتنقيها ، وكان استهزاؤهم يظهر بشكل واضح في عيد اليوريم الذى كانوا يحرقون فيه صليبا(١) . واستمر الحال على هذا المنوال الى أن اعتلى العرش الملك سيسبت Sisebut (المتوفى ٦٢١ م) المعروف عند ابن الأثير بسيسفوط . فباعتلائه العرش ضيق الخناق على اليهود وحرموا من اقامة شعائرهم الدينية وأعطى الملك سيسبت لليهود مهلة سنة للتفكير فيإعتناق الديانة المسيحية أو الرحيل عن اسبانيا. وبعد سنة هاجر كثير من اليهود من اسبانيا وتظاهر الذين بقوا باعتناق المسيحية حرصا على أملاكهم وأرواحهم . وكانوا يذهبون الى الكنائس لكنهم ظلوا يؤدون الشعائر اليهودية ويحتفلون بالأعياد اليهودية سرا (٢) . ولما توفى الملك سيسبت خلفه على العرش الملك Suintala الذى لم يكن متعصبا للمسيحية كسلفه . فانتهز اليهود هذه الفرصة وارتد كثير منهم الى اليهودية علنا . وبعد موته واعتلاء الملك Sisenand رأى المجلس الكنسى أن يجدد قراراته السابقة الخاصة باليهود ، ففى دورته الرابعة سنة ٦٣٣ م بمدينة طليطلة قرر علاوة على قراراته السابقة اضافة ما يأتى :

---

(١) نفس المرجع ص ٦٢٨

(٢) كان يسمى هؤلاء باليهود المستترين Judaizantes.

١ ـ يتحتم على كل يهـــودى أن يسلم أبناءه عند بلوغهم السابعة للـكنيسة لتقوم بتعميدهم وتربيتهم تربية مسيحية ٠

٢ ـ يســـلم كل يهودى ارتد عن المسيحية لأحـــد المسيحيين ليتخذه عبدا ٠

غير أن تنفيذ هـــذه القرارات لم يأخذ طابع الحزم كذلك ٠ ولم يكف رجال الكنيســـة فى التفكير لتضييق الخناق على يهود اسبانيا ٠

وفى عهد الملك Chintila قرر المجلس الـــكنسى بطليطلة طرد اليهود من البلاد ٠ وما أن سمع اليهود بهـذا القرار حتى سارع القـــاطنون منهم بطليطلة الى قصر الملك وكتبوا له وثيقـة يتعهدون فيها أنهم سيكونون مسيحيين مخلصين للـكنيسة ولن يرتدوا الى دينهـــم مرة أخرى ٠ وحافظوا على عهدهم هذا علنا طوال أيام الملك Chintila وعندما مات واعتلى الملك Chindaswind ارتد كثير منهم الى اليهودية وكانوا يقيمون الشعائر الدينية علنا ٠

وفى عهد الملك Receswind أصدر سنة ٦٥٣ مـ أمرا ملـــكيا ينص على أن أى انسان يقوم بشعائر غـير مسيحية فى مملكته يعاقب اما بالقتـل أو الحرق أو الرجم حتى الموت ٠ فاجتمع يهود طليطلة وذهبوا الى قصره ووعدوه أنهم سيقيمون شعائر الدين المسيحى وليثبتوا أنهم تركوا الدين اليهودى سيأكلون لحم الخنزير الذى تحرمه الشريعة اليهودية ٠ وبالرغم من هذا الوعد الذى قطعوه على أنفسهم

تعاهدوا فيما بينهم أن يقيموا شعائر الدين اليهودي سرا ٠ ويذهبوا الى الكنائس المسيحية علنا ٠ ولم تمر فترة من الزمن حتى أحس رجال الدين المسيحي أن اليهود يحتفلون بالأعياد اليهودية في منازلهم ٠ فأمروا اليهود أن يتواجدوا في الكنائس في أيام المواسم اليهودية وأن يكونوا تحت رقابة رجال الدين حتى يضمنوا أنهم لا يحتفلون بالمواسم اليهودية ٠ وبالرغم من هذه الاحتياطات لم يكف اليهود عن ممارسة شعائرهم الدينية ٠ فكانوا بعد رجوعهم من الكنائس وسماعهم الوعظ المسيحي ينتقدون الدين المسيحي ٠ ويبدو أنهم يكتبون كتبا معادية للمسيحية لذا نجد الملك Erwig يقترح على المجلس الكنسي الثاني عشر بمدينة طليطلة الذى انعقد برئاسة المطران جوليان اليهودي الذي اعتنق المسيحية ، عن ايمان ، يصدر أمرا بتحريم قراءة الكتب التي تعادي المسيحية ويحذر من ختان الاولاد الذي يعتبر أساسا من أسس الديانة اليهودية ٠

ولما وجد المسيحيون أن اليهود لا يقيمون عهدا ويكنون للمسيحية عداء أزليا أصدر الملك Egica صهر الملك Erwig أمرا بتسليمهم كل اليهود سواء الذين اعتنقوا المسيحية والذين بقوا على دينهم عبيدا للمسيحيين ومصادرة جميع أملاكهم وتوزيعها هدايا على المسيحيين ، ومعاقبة كل مسيحي يعتنق عبدا يهوديا ٠

وظل اليهود عبيدا للمسيحيين الى أن دخل المسلمون الأندلس ٠

الفصل الثاني

اليهود في الأندلس أيام الحكم الإسلامي

تحرير اليهود على يد العرب :

عندما سمع يهود أسبانيا بعبور الجيش الاسلامي مضيق جبل طارق وانتصاره في أول معركة على أرض الأندلس سنة ٧١١ م في شرش بقيادة طارق بن زياد تنفسوا الصعداء . وأخذوا يترقبون باهتمام بالغ أخبار الجيش الاسلامي الذى كان يخرج من نصر الى نصر . وكلما تقدم المسلمون فى شبه جزيرة الأندلس تجدد روح الأمل فى نفس اليهود . واستعدوا لاستقبال الجيش الاسلامى . وقد وجد المسلمون من اليهود المستعبدين مساعدة فعالة كانوا فى أشد الحاجة اليها وهم يتقدمون فى أرض لايعرفون عنها الكثير . وكلما دخلوا مدينة حرروا يهودها وفى مقابل ذلك كان اليهود يعرضون على قائد الجيش الاسلامى خدماتهم . فكثيرا ما كان يوكل قائد الجيش الى اليهود حراسة المدن المفتوحة وتأمينها تحت امرة عدد قليل من الجنود المسلمين .

ولما استقر الحال للمسلمين فى الأندلس منحوهم حريات كانوا لايحلمون بها فى تلك البلاد التى سامتهم سوء العذاب . فمنحوهم حرية التنقل فى أنحاء البلاد والتجارة بها وألحقوهم بالوظائف العامة ، وأعادوا لهم أراضيهم

وأملاكهم التى صادرتها الحكومات السابقة ، وأعادوا لهم أبناءهم الذين كانت الكنيسة قد أخذتهم لتربيتهم تربية مسيحية ، وسمحوا لهم ببناء معابدهم واقامة شعائرهم الدينية ومنحوهم الاستقلال القضائى فى القضايا الشرعية .

وعندما انتشر خبر فتح المسلمين للأندلس ومنح الحريات لليهود فى أنحاء أوروبا هاجر كثير من يهود أوروبا الى الأندلس . وكان اليهود يتجمعون فى مدن معينة مثل قرطبة والملقا وطليطلة وأشبيلية وسراقسطة والبيرة واليسانة التى يقول الارديسى ان سكانها كانوا من اليهود فقط ولا يداخلهم فيها مسلم (١) .

فراجت تجارتهم داخل الأندلس وخارجها . وكان اليهود يحتكرون بعض المهن والحرف والصناعات التى يرون أنها تدر عليهم أموالا طائلة . واحتكروا بعض أنواع التجارة كتجارة العبيد والجوارى البيض والحرير والتوابل . وجمع اليهود الذين كانوا يعيشون تحت ظل الحكم الاسلامى فى الأندلس أموالا طائلة . وكانوا لكثرة ثرائهم يرسلون الأموال الى اليهود الفقراء خارج أسبانيا .

بزوغ النهضة الأدبية العبرية فى الأندلس :

وكانت نتيجة الانتعاش الاقتصادى لليهود خلال القرن الأول للفتح الاسلامى للأندلس أن بدأ اليهود يفكرون

---

(١) الادريسى : المغرب وارض السودان ومصر والاندلس ص٢٠٥

فى انشـــاء مراكز ثقافية يهودية ينافسون بهـــا المراكز التقليـدية فى الشرق احتـذاء للعرب · وبدءوا يشجعون العلماء اليهود بالأموال لجذبهم من الشرق ·

واختار يهود الأندلس قرطبة التى كانت تعج بالعلماء والفقهاء والفلاسـفة المسلمين مركزا لانعاش الدراسـات اليهودية · وقد دفعهم الى اختيار هذه المدينة مركزا ثقافيا لهم وجود مكتبة غنية تضم آلاف المخطوطات فى مختلف أنواع الفنون والعلوم والاداب ·

وقد أدرك يهود الاندلس خلال القرن الاول من الحكم الاسلامى أن التفقه فى اللغه العربية وآدابها هو الطريق الى وظائف الدولة والسبيل الى التقرب الى الحكام · فانكبوا على دراسة العربية وعلومهـا بجانب العبرية ونبغ منهـم الكثير ·

يهود الأندلس فى القرن العاشر ·

كان قيام الخلافة الأموية الأندلسية فاتحة عهد جديد لليهود وللأدب العبرى ، وذلك بفضل طبيب يهودى استطاع أن يكسب حب الخليفة عبد الرحمن الثالث وثقته ، ويدعى هذا الطبيب اسحق بن عزرا بن شفروط واشتهر باسـم حسداى بن شفروط · وقد ولد حســداى بمدينة Jaen حوالى سنة ٩١٥ م · وهاجر مع عائلته صبيـا الى قرطبـة عاصمة الأندلس ودرس الطب هناك ومارسه ·

وفي حوالى سنة ٩٥١ م ترجم كتابا في الطب(١) من اللاتينية الى العربية . وكان هذا الكتاب قد ألفه باليونانية ديوسقوريدس Dioscorides ثم ترجمه الى اللاتينية القس نيكولاس ، وقد ساعده في الترجمة الفيلسوف الصقلي أبو عبد الله . وحازت الترجمة اعجاب أمير المؤمنين عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر (٣٠٠ ـ ٣٦٦ هـ) (٩١٢ ـ ٩٧٦ م) فكافأه بتعيينه طبيبا في القصر ، وانتفع بدرايته باللغة اللاتينية عند استقباله لرسل أمراء ممالك أوروبا الناطقة باللاتينية ، وكان يستشيره في أمور الدولة الداخلية والخارجية وخاصة في شئون التجارة ، وأصبح ابن شفروط على مر الأيام المهيمن على تجارة الأندلس وشئونها الخارجية . وبالرغم من أنه كان يقوم بعمل وزير الخارجية والتجارة لم يمنح له لقب رسمي .

واستطاع حسداى بن شفروط أن يجمع أموالا طائلة ويصبح من أغنياء يهود زمانه ، وذاع صيته بين يهود المغرب والمشرق . وكان ابن شفروط مولعا باقتناء الكتب في مختلف العلوم والفنون وكان يتنافس مع أغنياء المسلمين(٢) في اقتناء الكتب والتفاخر بمكتبته .. وكانت مكتبته تمتاز

---

(١) راجع على محمد راضى : الاندلس والناصر . القاهرة ١٩٦٧ ص ٧٦ .

(٢) راجع أبا العباس أحمد بن المقرى « نفح الطيب » طبعة لندن ١٨٥٥ ـ ١٨٦٠ الجزء الاول ص ٣٠٢

عن مكتبات قرطبة بأنها تشتمل على كتب عبرية . وأنشأ حسداى بن شفروط مدرسة للدراسات اليهودية وكان سخيا فى الاغداق على اساتذة هذه المدرسة(١) . وكان يرأس هذه المدرسة ناتان الذى تنازل لموسى بن حنوخ العالم التلمودى الذى اشتراه حسداى من سوق العبيد . فقصد هذه المدرسة علماء اليهود فى عصره تاركين مدرستى العراق الشهيرتين : « صورا وبمباديثا » . ولقد كافأه يهود المشرق والمغرب على جهوده فى خدمة الدراسات اليهودية ولقبوه « ريش كلاه » بمعنى « رأس العرش » وهو لقب لا يقل عن « رأس المثيبة » الذى كان يطلق على رئيس مدرسة صورا ولما علم عبد الرحمن الثالث بتكريم اليهود له عينه حاخاما أكبر ليهود الأندلس .

وقلد حسداى حكام العرب باتخاذ شعراء يمدحونه نظير اغداقه العطاء لهم ، ووفد اليه أدباء اليهود وشعراؤهم من جميع أنحاء الأندلس والشرق يمدحونه .

وكان من أوائل الشعراء الذين طرقوا بابه مناحم بن سروق الذى ولد بطرطوسة فى أواخر القرن التاسع . وكان مناحم أحسن شعراء اليهود فى عصره فقد كان على حد تعبيره « يربك كل فصيح ويلجم كل شاعر » (٢) وقد عرض عدة

---

(١) راجع شيرمان « عشرة هاعفريت سفاراد أوبفروفانس » تل أبيب ١٩٥٤ ج ١ ، ص ٤٠

(٢) راجع شيرمان « عشرة هاعقريت سفاراد أوبفروفانس » ج ١ ص ٤ .

قصائد فى مدح حسداى بن شفروط فكافأه الأخير بسخاء ·
ولكن لم تدم المودة بينهما طويلا فقد غضب عليه حسداى
وطرده من قرطبة ، ولم يفقد الشاعر الامل فى استعطاف
قلب الثرى فظل يكتب اليه حتى عفا عنه · فلما سمع
مناحم بالعفو هرع الى قصر حسداى يقرأ عليه قصائد مديح
قرضها لهذه المناسبة · ولكن لم يمض وقت طويل حتى
غضب الثرى ثانية ويبدو أن انتقادات مناحم التى وجهها
الى التلمود والربانيين واتهام بعض اليهود له أنه يعتنق
مذهب القرائين (١) كانت سببا فى ابعاده ، ولم يطرده
حسداى هذه المرة من قرطبة بل أرسل اليه انصاره الذين
كبلوه بالحديد وساموه سوء العذاب وزجوه فى غياهب
سجن قرطبة · وأرسل الشاعر للثرى رسالة باللغة العبرية
فى صورة قصيدة طويلة تتكون من ٤٢٦ فقرة ·

والقصيدة تتكون من مقدمة يحاول فيها أن يكسب
عطفه فيلقبه تارة بسيدى ابن سيدى وأخرى بالرئيس
ويصفه بكل الصفات الحميدة التى تخطر على بال كل انسان·

وبعد المقدمة التى تتكون من ٣٤ فقرة يبدأ رسالته
ويغير أسلوبه فيها ويخاطبه بقوله يا ابن آدم ثم يذكره أنه
بشر خلقه الله كما خلق سائر الناس من طين ثم يندب حظه
فى الدنيا بأسلوب وعبارات استنبطها من سفر أيوب ··
فمن قوله ما معناه بالعربية :

---

(١) القرائون هم اليهود الذين يرفضون الاعتراف بالتلمود ·

عظامى تبكى
هذه على تلك
أوصـــــالى تئن
بعضها على بعض
وأنا أنوح
عليهـا جميعـا
أزيل شحمى من لحمى
واهشم عظامى
أزرع آلامى فى حفنة تراب
وأمطر عليها ماء جفونى
أرويها دائما بدموعى
لعل الظلم (الواقع على) ينبت فاكهة
ويكف حقد المحرضين
وفى آخر فقرات القصيدة يمدح حسداى قائلا :
كريم أصيل ساعة اشراقه تمجده أركان العالم
وينهى رسالته بقوله :
ما أنا الا عبد يتطلع
بأمل الى سيــــده
انى تركت كحمامة قص جناحاها
الى أن تأتى اللحظة المنشودة
وأصبحت كغصن أبيض
أزيل لحـــــاؤه
يسلمك الله القوى
آمــــين ٠٠ ٠٠

فلما قرأ حسداى الرسالة رد عليه بهذه العبارة :

« إن كنت قد أذنبت فانك تلقى جزاءك ، وان كنت لم تذنب فان ثواب عذابك ستناله يوم القيامة » .

وبجانب الأشعار التى قرضـــها مناحم كتب كتابا نحويا للغة العبرية يسمى « محبرت » ومن الذين شدوا الرحال من الشرق للانضمام الى حاشـــية اليهودى الغنى بقرطبة شاعر يهودى يدعى دوناش بن لبرط . ولد دوناش بمدينة فاس بالمغرب فى الثلث الأول من القرن العـــاشر ـ وســـافر الى العراق لتلقى علومه فى مدرســـة صورا . وكان يرأس هذه المدرسة اذ ذاك سعديا بن يوســـف الفيومى أستاذ العصر . وفى العراق درس دوناش اللغة العربية والأدب العربى دراسة مكنته من معرفة فنونه . وقد أعجب بعلوم العربية وآدابهـــا اعجابا جعله ينصـــح اليهود فى بيت شعر كتبه بالعبرية ليتعلموا العربية يقول فيه :

فلتكن الكتب المقدسة جنتك
ولتكن الكتب العربية فردوسك

وعند وصول دوناش الى قرطبة دعا الشعراء اليهود أن يزنوا أبيات أشعارهم طبقا للبحور العربية (١) ، وبادر هو بقرض أشعار موزونة . وبدعوته هذه أحدث ثورة أدبية هائلة فى شكل الشعر العبرى . ولم يكتف دوناش

---

(١) كان الشعر العبرى فى ذلك الحين يلتزم القافية دون وزن .

بادخال البحور العربية بن فرض الشعر فى فنون مختلفة كثيرة لم يطرقها شعراء اليهود من قبل مثل الاخوانيات والخمريات والهجاء والوصف . وبذلك وسع دائرة الفنون التى كان الشعر العبرى يدور فيها • وقد أبدع فى الوصف وأثبت أن خياله واسع فقد وصف الحدائق الغناء فى ربيع الأندلس وصورها بالتشبيهات الكثيرة •

ويبدو أنه انضم الى حاشية حسداى فى الوقت الذى كان حسداى قد غضب على مناحم بن سروق . فهو يبدأ أول قصيدة يوجهها الى حسداى مستهزئا بمناحم ابن سروق • فيبدأ بما ترجمته بتصرف :

قل يا فؤادى الحكمة
والمعرفة والادراك
احرص على مسالك الفطنة
وعلى مجالس الأدب
وابحث عن الحق
ولا تكن عنيدا
لئلا تخدع
كقلوب العاصين (١)
تأن دائما فى الاجابة
لئلا تكون ردودك جاهزة

---

(١) يقصد مناحم بن سروق

بل مصهورة مختبرة
كالذهب فى البوتقة

وبعد المقدمه يمدح حمداى بابيات نورد بعضها .
بأشعار موزونة (١) حديثة جزلة
بعبارات مضبوطة مجلية مدروسة

أنظم الشعر لمديح الرئيس ، رئيس الكلام
الذى أباد الاعداء (٢) كلية
وتمنطق بالفخر والعزة
وارتدى عون الاله
وهزم السفهاء فى عشرة حصون

ويقول :

اسمه يدوى فى المشرق والمغرب
يتحدث المسيحيون والمسلمون بفضله

ثم يقول :

للفقراء هو ، للابناء كالأب الحنون
وكفه كالسحاب لقارضى الشعر
ثم تنتهى القصيدة التى تتكون من ٤٠ بيتا بقوله :

---

(١) موزونة كالشعر العربى

(٢) يقصد جيوش شنجه (سانشو) راجع محمد عنان ، دولة الاسلام فى الاندلس – العصر الاول – القسم الثانى – القاهرة ١٩٦٠ ص ٣٨٤ – ٣٩٠ .

هو تاج كتابى وسيد بيانى
ورافع اسمى على كل الشعراء
وان الشعر الذى أقرضه
يفتح وييسر طرقا مسدودة

وقد جمع أشعاره في ديوان ولكن لم يصلنا من هذا الديوان الا بعضه فى أوراق مخطوطة متناثرة فى مكتبات أوروبا ٠

وقد كتب دوناش وهو فى قرطبة نقدا لكتاب النحو « محبرت الذى ألفه مناحم بن سروق وتصــدى له تلاميذ مناحم وعلى رأسهم النحوى حيوج ٠

ومن الشعراء الذين ضمتهم حاشية حســداى عالم لغوى وشاعر تتلمذ على مناحم بن سروق يدعى اسحق بن قفرون٠ وقفرون اسم عائلته ومعنى قفرون Capron, Cabron باللاتينية تيس ٠ وكان هذا الاسم مجال تندر باسحق فكان أعداؤه ينادونه تارة عنزه وأخرى جديا ٠ وقد كان اسحق مخلصا لأستاذه مناحم بن سروق ٠ فعندما هزأ دوناش بن لبرط بمناحم هب ابن قفرون مع بقية التلاميذ (١) للدفاع عن أستاذهم ٠ وقاد حملة سخرية على دوناش ونقده نقدا شديدا على ادخاله البحور العربية فى الشعر العبرى ٠٠ فهو يقول فى قصيدة وجهها الى حسداى ما ترجمته :

---

(١) مثل اسحق بن جقتيلا ويهوذا بن داود ٠

ها هو ابن لبرط كتب باطلا
وظن أنه نجح وأصلح القول المأثور
لكنه أتلف اللسان المقدس
بوزنه العبرية بموازين أجنبية

لكن حملته فشلت فشلا ذريعا فقد أعجب كثير من شعراء اليهود بالتجديد الذى أدخله دوناش فى الشعر العبرى واقتفوا أثره ٠

الفصل الثالث

يهود الأندلس
في القرن الحادي عشر الميلادي

عصر الخلافة :

انشــأ اليهود فى القرن الحادى عشر مراكز أخـرى للدراسات اليهـودية بجـــانب قرطبة التى أصبحت كعبة طـلاب العلم فى المشرق والمغرب فمن هذه المراكز العلمية المدرســة اللغوية واللاهوتية فى لوســـانيا التى كان من أساتذتها عالم لغوى ذاع صيته فى أوائل القرن الحادى عشر يدعى اسحق بن مرشاءول · تتلمذ على هذا الأستاذ كثير من اليهود الذين قاموا بأبحاث فى النحو العبرى مثل النحوى الشهير مروان بن جناح الذى ألف كتبا فى النحو العبرى نذكر منها كتاب اللمع وكتاب الأصول ·

وقد نظم مرشاءول أشعارا دينية « بيوطيم » (١) مستخدما البحور العربية · ومن أشــــهر البيوطيم التى نظمها قصيدته التى تبدأ بما ترجمته الى العربية :

الهى لا تحاسبنى حسب خطاياى
ولا تكل لى حسب أعمالى

---

(١) يسمى اليهود الاشــعار الدينيــة · بيوطيم » وهى كلمــة يونانية استعملت فى العبرية للدلالة على الاشعار الدينية التى كان اليهود يرتلونها فى المناسبات الدينية ·

اشملني بفضلك لآحيا
يا رب لا تعاقبني على خطاياى

وتتكون هذه القصيدة من ٢٢ بيتا كل بيت فيها يبدأ بحرف من حروف الأبجدية العبرية على التوالى . ولم يكن استعمال الأبجدية بدعة في الأدب العبرى ، اذ أن هذا النوع من المحسنات استعمل فى العهد القديم (١) .

واستمرت مدرسة قرطبة للدراسات اليهودية تحتل فى أوائل القرن الحادى عشر مركز الصدارة . وتوسعت حتى أصبحت بمثـــابة دار للافتاء للشريعة اليهـــودية . واصبحت بديلا لمدرستي العراق (صورا وبمبادثا) اللتين كانتا تصدران الافتاء في الشريعة اليهودية . وتخرج فى هذه المدرسة علماء أشهرهم يوسف بن ابى ثور الذى ترجم الى العربية مقتطفات من التلمود واهداها الى الخليفة الحكم الثاني (٩٦١ ـ ٩٧٦ م) . وقد طالب يوسف بن أبى ثور برئاسة المدرسة باعتبـــاره أكفأ من حنوخ بن موسى بن حنوخ رئيس المدرسة آنذاك . وانقسم يهود قرطبة الى حزبين : جماعة تتشـــيع ليوســـف وأخرى تبايع حنوخ . وزاد الخلاف بينهم حتى وصل الأمر الى الخليفة فتدخل ونصح يوسف بن أبى ثور أن يرحل من قرطبة لحســـم الخلاف بين اليهود . فامتثل يوسف لأمر الخليفة وترك

---

(١) راجع مثلا المزمور ٣٤ . مراثى أرمياء اصحاحات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

الأندلس قاصدا سوريا • وبعد عدة سنوات أرسل اليه يعقوب بن جو أحد الذين كانوا يشـايعونه يقترح اليه العودة الى قرطبة ليتسلم منصب رئاسة المدرسة ولكن يوسف رد عليه رافضا مقنعا اياه أنه لا يوجد حاخام أصلح من حنوخ • وظل ينتقل بين ربوع الشرق حتى مات فى دمشق سنة ١٠١٢ م • وقد نظم ابن أبى ثور ما يزيد على مـائتين من « البيوطيم » ، ولم يكتف بالأنـواع (١) التقليدية للبيوطيم بل أضاف نوعا يسـمى « معماد » (موقف) وهذا النوع الجديد عبارة عن ترنيمات تمجيدا لعيد الكثوريم (عيد الغفران) •

ويمتاز شعر يوسف بن أبى ثور عن شعر غيره من يهود الأندلس باقتباساته واشاراته الكثيرة الى النصوص التلمودية وشروح العهد القديم ، فى حين أن بقية شعراء اليهود الأندلسيين كانت اقتباساتهم من نصوص العهد القديم واشاراتهم الى قصص العهد القديم ، وقلما كانوا يقتبسون من التلمود • ولم تكن هذه الظاهرة فى الشعر العبرى الأندلسى سببها جهل الشعراء بالتلمود وانما كان تقليدا للعرب الذين كانوا يقتبسـون من القرآن الكريم أكثر من اقتباسهم من الحديث الشريف • ولا نستطيع

---

(١) هناك ثلاثة أنواع رئيسية : القروفاه واليوصير والمعريفاه • وكل نوع يشتمل على أنواع فرعية ويتناول كل نوع موضوعا معينـا فمثلا يتناول اليوصير خلق العالم وقدرة الخالق •

بأى حال من الأحوال أن نصف شعر يوسف بن أبى ثور بانه سهل ·

***

وقد ظهر أيضا فى أوائل القرن الحادى عشر لأول مرة فى تاريخ الأدب العبرى أدب الكدية ، احترفه الشاعر اسحق بن خلفون الذى كان يكنى بأبى ابراهيم · فكان أبو ابراهيم يتنقل بين مدن الأندلس مادحا من يغدق عليه وهاجيا من يمسك عنه · ويبدو من شعره أنه عاش حياة قاسية فكثيرا ما كانت الأبواب تغلق فى وجهه أو يوعد بالعطاء ولا يحصل على ما وعد به ، فهو يقول فى هذا :

أطلب ابقاك الله حسنة
وان مت فأوصى بها الى ولدى

ويبدو أنه كان مجال تندر بين اليهود ، فهو مثلا يشكو أنه طلب خمرا من شخص فأرسل اليه قطعة من الجبن بقوله :

طلبت منك سيدى مادحا
واكثرت عند بابك توسلاتى
وجعلتك برجا أحتمى بك
وأمام الاعداء سيفا ودرعا
جعلتك يوم القيظ ظلى
ويوم الزمهرير نارا أتدفأ بما
أعطيتنى ـ أعطاك الله خيرا

كعطاء القانا لفنينا (١)
وأرسلت قطعة جبن هدية
وما تفيد قطعة الجبن يوم الظمأ

وقد تناول بجانب المدح والهجاء بعض الفنون الشعرية الأخرى فمن قوله في الحب :

اقفز كالغزالة حين يوقظني
العشق لرؤية ذات الحسب
أهرول الى منزلها فاذا بها
مع أمها وابيها واخيها وعمها
آراهم فاتراجع متظاهرا
أنني لست عزيزها وحبيبها
أخاف منهم لكن قلبي متعلق بها
كقلب أم ثكلت وحيدها

وقد جمع أشعاره في ديوان فقد مع ما فقد من تراث القرون الوسطى ولم يتبق منه الا حوالى ٥٠ قصيدة متناثرة في مخطوطات محفوظة في مكتبات مختلفة .

اليهود في عصر الطوائف

بعد أن انهارت الخلافة بقرطبة انتشر عقد وحدة

---

(١) القانا شخصية ذكرت في سفر صموئيل الاول الاصحاح الاول . كان القانا له زوجتان فنينا وحنا وكان يحب حنا ويعطيها من ماله بسخاء على عكس فنينا التي كان يمسك عنها .

البلاد وانفرد رؤساء طوائف العرب وفتيان صقالبة القصور وامراء جماعات البربر بالمدن وضواحيها ـ ورأى يهود الأندلس أن توسيع شقة الخلاف بين هذه الامارات من مصلحتهم . فقاموا بنصيب وافر فى اشعال نار الفرقة بين امراء الطوائف ـ ورأى البربر أصحاب السلطة فى جنوبى الأندلس أنهم يستطيعون أن يستفيدوا من اليهود ففتحوا لهم صدورهم ورحبوا بهم فانهالت موجات من اليهود الى الجنوب .

وكان من بين الذين هاجروا جنوبا شاب يدعى : صموئيل اللاوى بن يوسف بن نغريلة المشهور بشموئيل هنا جيد وقد عرفه العرب باسم اسماعيل بن يوسف بن نغريلة (١) . وولد ابن نغريلة فى أواخر القرن العاشر بقرطبة من عائلة غنية ـ وقد عنى أبوه بتعليمه ونبغ فى اللغتين العربية والعبرية وآدابها (٢) ـ وقطن بن نغريلة عند هجرته الى الجنوب بمدينة « ملقا » على الساحل الجنوبى من شبه جزيرة الأندلس ، وافتتح له هناك حانوتا ، وتقول الروايات اليهودية انه جاءه يوما مولى أبى القاسم بن العارف والى « ملقا » وطلب منه كتابة طلب

---

(١) كان من عادة اليهود فى الاندلس أن يتخذوا اسمين : اسما يعرف به بين اليهود وآخر يعرف به بين غيرهم .

(٢) راجع الاحاطة فى اخبار غرناطة للوزير لسان الدين بن الخطيب تحقيق عبد الله عنان ـ القاهرة ١٩٥٥ ـ المجلد الاول ص ٤٤٦ .

ليقدمه للوالى ·

فكتب له الطلب ، ولما عرض على الوالى أعجب بالخط الذى كتب به · وسأل عن كاتبه فدله المولى عليه · فطلب الوالى التاجر اليهودى وعينه « كاتبا » له وكان يستشيره فى بعض أمور الولاية ، فذاع صيته بين يهود « ملقا » وعينوه رئيسا لهم · وقبل موت أبى القاسم قدمه الى « حبوس » أمير غرناطة الذى كانت ولاية « ملقا » تتبعه · وقد أعجب «حبوس » بذكائه وكياسته وجعله مسئولا عن جباية الضرائب في امارته ، ولما مات « حبوس » حدث خلاف بين ولديه « ماخسان » و « باديس » على الامارة ــ وناصر ابن نغريلة « باديس » على أخيه الأكبر واستطاع « باديس » التغلب على « ماخسان » وتولى الامارة ولم ينس « باديس » جميل ابن نغريلة فى مناصرته له وعينه وزيرا فى الامارة ــ وبذا أصبح ابن نغريلة أول يهودى وصــــل الى درجة الوزارة رســـميا وكان مســئولا أمام « باديس » عن شئون الامارة الداخلية والخارجية · وبعد سنوات ولاه أمور الجيش فقاد ابن نغريلة الحملات الحربية ضد أعداء « باديس » ·

وبعد أن وصل ابن نغريلة الى هذا المركز توافد كثير من اليهود الى غرناطة يبتغون فضــله ــ فكان يعطف على فقرائهم ويكرم علماءهم ويغدق الأموال على شـــــعرائهم ويتوسط لكثير منهم لشغل وظائف الدولة · وشغل فى عهده كثير من اليهود وظائف حكومية نذكر منهم اسحق

ابن يعقوب الذى كان صاحب الشرطة فى غرناطة (١) .

وقد بلغ ابن نغريلة شأوا عظيما وقلد الأمراء فى اجتذاب الشعراء وكون لنفسه حاشية جمع فيها عددا كبيرا من الشعراء ، كان من بينهم نفر من الشعراء المسلمين نذكر منهم « عبد العزيز بن خيرة » المعروف باسم « المنفتل » الذى قال فى رسالة وجهها اليه « فتى كرم خالا وعما ، وشرح من المجد ما كان معمى ، قسا فصاحة ، وكعبا سماحة ، ولقمان علما ، ولأحنف حلما – اكرم همة من همام ، وأعظم بسطة من بسطام – ان خاطب أوجز ، وان غالب أعجز (٢) » .

ويقول فيه شعرا :

قرن الفضائل والفواصل
فشأى الأواخر والأوائل
سقطوا برفعة فضله
كالشمس فى شرف المنافل(٣)

---

(١) راجع Graetz, History of the Jews, vol. 3, p. 263.
والاحاطة فى اخبار غرناطة المجلد الاول ص ٤٤٥ .

(٢) راجع الرسالة فى كتاب الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لابن بسام . القاهرة سنة ١٩٤٢ القسم الاول المجلد الثانى ص : ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

(٣) راجع ابن بسام : الذخيرة ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

وكـذا الأخفش بن ميمون القبـذاقى المكنى بابن الفراء . ومن قوله فيه :

أهوى الذى تيمنى حبه
وما درى أنى أهواه
أكاد أفنى من غرام به
لا سيما ساعة ألقاه
والله ما تذكرنى ساعة
ولا وحق الله أنسـاه

وقال أيضا يمتدحه :

اذا مدحت فلا تمدح سواه ففى
يمناه بحر محيط للعفاه زخر
يصغى من المدح من جود ومن أدب
كمشتكى الجدب قد اصغى لصوب مطر

* * *

ومن شـعراء حاشيته اليهود ابن حسرول اشهر ادباء زمانه . وقال فيه قصيدة بالعبريه تبدأ :

من ذا الذى يشبه الفجر اذا انفلق
وينير كالشمس مشرقا جليا
ذو مجد وذو شرف كالأمراء النبلاء (١)
طيبه كالبخور اذا احترق
خده كالسوسن المحمر
أرى به سحرا وهو ليس بمسحور

(١) الاصل بنت الملك

ويبدو أن السلطة غيرت اخلاقه وعلمته الغطرسة والكبرياء حتى صار مكروها بين اليهود والمسلمين على السواء - ويظهر ذلك جليا مما قاله ابن جبيرول اليهودى احد الذين مدحوه كثيرا وعاشوا فى كنفه :

قل للرئيس الذى علا وتكبر
الكبر تجسد فيك ومنك فشا
عليك أعتمدت
فخيبت آمالى فيك (١)

وقد تمادى ابن نغريلة فى غلوائه ونسى جميل المسلمين عليه وعلى أبناء دينه وتطاول على الاسلام وشرائعه واستهزأ بالمسلمين وجاهر بأنه قادر على أن ينظم القرآن فى أشعار وموشحات ليتغنى به فى المجالس والأسواق . ومن شعره بالعربية عن القرآن :

نقشت فى الخد سطرا
من كتاب الله موزون
لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون (٢)

---

(١) ترجمة بتصرف .

(٢) راجع ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب .. تحقيق . د. شوقى ضيف القاهرة سنة ١٩٥٥ ، ص : ١١٤ ؛ لاحظ أن البيت الثانى نظم للآية الواحدة والتسعين من سورة آل عمران .

وقد ألف كتابا يطعن فيه على الاسلام وكتابه الكريم فرد عليه أبو محمد بن حزم بكتاب سماه : الرد على ابن « نغريلة » اليهودى (١)

واستنكر المسلمون (٢) هـذه الوقاحة واحتجوا على « حبوس » لاستوزاره وعلى أهل غرناطة لانصياعهم لحكم هذا اليهودى ـ فقال أبو اسحاق ابراهيم بن مسعود فى هذا المعنى :

ألا قل لصنهاجة اجمعين
بدور الزمان وأسد العرين
لقد زل سيدكم زلة
اقر بها أعين الشامتين
تخير كاتبه كافرا
ولو شاء كان من المسلمين
فعز اليهود به وانتخوا
وكانوا من العشرة الأرذلين

وكان ابن نغريلة بالرغم من كل هـذا ذكيا مطلعا سياسيا قاهرا وشاعرا قرض باللغتين العربية والعبرية فمن شعره بالعربية :

---

(١) حققه احسان عباس . القاهرة ١٩٦٠ . راجع ايضا :
E. Garcia Gomez, Polemica religisa entre Ibn Hazm y Ibn Al-Nagrila, Al-Andalus, IV, pp. 1-28.

(٢) راجع ابن سـعيد ـ المغرب فى حل المغرب ص ١٣٢ . ١٣٣ . راجع ايضا ابن بسام ـ الذخيرة فى محاسن اهل الجزيرة ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

ياغائباً عن ناظرى لم يغب
عن خاطرى رفقا على الصب
فماله في البعد من سلوة
وماله سؤل . سوى القرب
صورت في قلبى فلم تبتعد
عن ناظرى الفكرة بأ حب
ما أوحشت طلعة من لم يزل
ينقل من طرف الى قلب (١)

وله قصائد كثيرة بالعبرية تتناول موضوعات شتى.
وله الفضل فى تطعيم الشعر العبرى بفنون جديدة اقتبسها من الأدب العربى كالشعر القصصى والخمريات والاخوانيات والغزل ووصف المعارك ووصف الطبيعية والرثاء - وتعتبر خمريات « ابن نغريلة » من أحسن ما كتب فى العبرية فى هذا الفن من الشعر . وقد كتب حوالى ١٩ قطعة فى هذا الفن .

فمن خمرياته المقتطفات الآتية :

(١) خصصوا نصف النهار لله ، ونصفه
لأعمالكم ،أما الليل فاجعلوه للخمر
ان من حظكم التعس أيها البلهاء
أن خلا القبر من نديم وشعر وخمر

---

(١) ابن سعيد / المغرب فى حلى المغرب ص ١١٤ .

(٢) خذ من الساقى كاسا وقل له خذ
قنينة وسارع الى الجرة فاملأها
لأن كدرا تمكن من فؤادى
ففى لجرة بنسم معتق شاف

ونه فى الوصـــف عشرات الأبيات فمن وصـــمه للياسمين :

انظر الى الياسمين ، اخضر ساقه كالزمرد
وأوراقه وفروعه
وزهره كالبللور ابيض
وكم زهره احمر كالدم
يشبه علاء أبيض انوجه يسفك
بكفيه دماء احبائه الأبرياء

وكان « ابن نغريلة » فى شعره الوصفى يتنقل بذهنه فى تشبيهاته انتقالات سريعة بمعنى أنه كان يشبه شـــيئا عاديا بشىء غير عادى ، وشيئا صغيرا بشىء كبير وهلم جرا . وكان يعتنى بالتفاصيل الدقيقة فى وصفه ، ويبدو أنه تأثر تأثرا بالغا فى طريقته هذه بطريقة شعراء العرب الأندلسيين(١) فمثلا نلاحظ ذلك فى أبياته بالعبرية التى كتبها لابنه من ميدان المعركة :

---

(١) راجع اميليو غرسيه غومس / الشعر الاندلسى . ترجمه حسين مؤنس . القاهرة سنة ١٩٥٦ ص ٩٦ .

والخيل تجرى رواحا وغدوا
كأفاع أطلقت من جحور
والرماح التى ترمى
كالبرق يملأ بريقها الفضاء
والسهام كأنها مطر ينهمر
وظهور الخيل أضحت كالغربال (١)
والنبال كالأفاعى بأيديهم
وكل أفعى تنفث سما
والسيوف كالمشاعل على رءوسهم
يعشى من نورها ضوء النهار

وبجانب التجديد الذى أحدثه ابن نغريلة فى فنون الشعر العبرى طرق فنون الشعر العبرى التقليـدية أعنى البيوطيم والأدعية . فمن هذه أبيات قالها أثناء قيـادته للجيش الذى كان يحارب « اسماعيل بن عباد » فى وادى جنيل فى مناجاة ربه :

انظر اليوم محنتى
واسمع واقبل صلواتى
تذكر حسنة لعبدك
ولا تحزنى فى محنتى
أأصاب ببلية
ومنك قوتى وعزيمتى

---

(١) من السهام المنهمرة .

ولم يقتصر ابن تغريلة على الأدب والسياسة بل درس الفلك والمنطق والهندسة(١) ·

وقد جمع ابنه « يهوسف » معظم أشعار ابن نغريلة العبرية في ديوان قسمه الى ثلاثة أقسام سمى كل قسم بعنوان اقتبسه من العهد القديم ، فسمى القسم الأول « بن تهليم » وترجمتها المزامير الصغيرة (حرفيا ابن الأدعية) والثاني « بن مشالى » وترجمتها الأمثال الصغيرة (حرفيا ابن الامثال) والثالث « بن قوهلث » وترجمتها سفر الجامعة الصغير (حرفيا ابن سفر الجامعة)

وكان « يهوسف » يكتب مقدمة صغيرة بالعربية قبل كل قصيدة يذكر فيها المناسبة التى قيلت فيها·

ويشتمل القسم الأول على صلوات وأدعية ·

والثانى على قصائد مدح للبارزين من اليهود فى عصره والثالث على أشعار يتنبأ فيها بزوال الوجود وخراب الدنيا ·

وعلى حسب رواية كتاب العرب (٢) لم يكن ابن نغريلة مخلصا لأمير غرناطة فقد اتصل بابن صمادح بالمرية واتفقا على التخلص من « باديس » : وتقول الرواية العربية

---

(١) الاحاطة : فى أخبار غرناطه : الجزء الاول ، ص · ٤٤٧

(٢) راجع مثلا ابن بسام فى الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة — القسم الاول المجلد الثانى — القاهرة ١٩٤٢ ص ٢٧٠ ·

أن سكان غرناطة علموا بهذه المؤامرة وقتلوه · ولكن اليهود ينكرون ذلك ويدعون أنه مات على فراشه سنة ١٠٥٥ · (١)

وقد أنجب ابن نغريله أربعة أبناء هم « يهوسف » و « الياسافا » و « يهوذا » و « ابى نصر عزاريا » ·

واهتم بتربية « يهوسف » الذى كان يكنى بأبى حسين فجلب له المعلمين والأدباء من كل جهة وغرس فيه حب الاطلاع · ويقول فيه صاحب الاحاطة فى أخبار غرناطة انه كان جميل الوجه حاد الذهن(٢) · فأخذ فى الاجتهاد حتى قيل انه كتب شعرا عبريا وهو لم يبلغ العاشرة ، وكان أبوه يعتز به اعتزازا كبيرا ويقول ابن سعيد فى كتاب المغرب فى حلى المغرب ص ١١٥ انه كان صغيرا عندما قتل أبوه بغرناطة ، وصلب على نهر سنجل · ويقول ابن سعيد انه هرب الى افريقية وكتب من هنالك الى أهل غرناطة قصيدته المشهورة ومنها هذه الابيات بالعربية :

أقتيلا بسنجل ليس تخشى
حشر جسم وقد سمعت النصيحا
غودر الجسم فى التراب طريحا
وغدا الروح فى البسيطة ريحا

---

(١) راجع مقالة الدكتور صموئيل ستيرن فى Romanica et Occidentalia. القدس سنة ١٩٦٣ ، ص ٢٥٦ ·

(٢) الاحاطة ص ٤٤٧ ·

ايها الغادرون هلا وفيتم
وفديتم شبه الذبيح ذبيحا(١)
ان يكن قتلكم له دون ذنب
قد قتلنا من قبل ذاك المسيحا
ونبيا من هاشم قد سممنا
خر من أكلة الذراع طريحا(٢)

ويبدو أن قصه هرب « يهوسف » الى افريقية ليست صحيحة اذ نقرأ في الاحاطة في أخبار غرناطة (٣) أن « يهوسف » زادت منزلته عند أمير غرناطة ٠ وكانت ليهوسف على باديس عيون فى قصره من نساء وفتيات يشملهن بالاحسان ، فلا يكاد « باديس » يتنفس الا ويهوسف يعلم ٠ ومن هذا النص نستنتج أن « باديس » استوزره بدل أبيه ومنحه السلطات الواسعة التى كانت لأبيه ، ووثق به ، ووفر « يهوسف » للأمير مختلف الملذات والشهوات التى شغلته عن الامارة ، وأساء « يهوسف » استعمال الحرية الممنوحة له فبالغ في منح الامتيازات لليهود مثل تخفيف الضرائب عليهم وتفضيلهم فى الوظائف العامة ٠٠٠ الخ ٠ فضاق أهل غرناطة ذرعا بحكم اليهود وثاروا وهجموا على قصره سنة ١٠٦٦ م وقتلوه وامتدت

(١) اشارة الى قصة اسماعيل عليه السلام .

(٢) يشير الى قصة زينب اليهودية التى دست السم لسيدنا محمد « صلعم » ٠

(٣) ص ٤٤٧ ٠

الثورة الى كل حى اليهود بغرناطة وهرب نفر منهم وقتل الباقون .

وكان من معاصرى « ابن نغريلة » يهودى غنى وصل الى مكانة مرموقة فى سراقسطة فىعهد الملك « يحيى ابن المنذر » يدعى « أبا عامر يقوتئيل يوسف بن حسن » (١) . وكان أبو عامر شاعرا محبا للأدب والأدباء وقد اتخذ له حاشية من العلماء والفلاسفة . وكان صديقا « لابن نغريلة » وقرض أشهر قصائده المسماة باليتيمة فى مدح « ابن نغريلة » .

وتبدأ القصيدة بغزل عذرى على نمط القصائد العربية :

للغزالة الحنون قوة وقدرة
لتحجب أستار ظلام الليل كالثوب
ولترعى كواكب السماء وللتيه
فى الصحراء موطن الخوف والرعب

وربما استنبط فكرة البيت الأول من بيت لابن فرج الجيانى الذى يقول فيه :

بدت فى الليل سافرة فباتت
دياجى الليل سافرة القناع (٢)

---

(١) كان يدعى حيانا المتوكل بن قبرون .

(٢) الشقندى : « الرسالة » برواية المقرى نفح الطيب . الجزء الثانى القاهرة ١٩٤٩ ص ١٣٢ .

وقد اشتهرت قصيدة « أبي عامر » هذه بين يهود الأندلس باليتيمة لقوله فى البيت الثالث والأربعين من هذه القصيدة مخاطبا ابن نغريلة :

أنت عريسها لكنها مازالت عذراء
هى يتيمة ولو أن أباها مازال حيا

أى أنت يا ابن نغريلة موضوع هذه القصيدة ، وهى مازلت عذراء أى لم يكتب مثلها أحد . وهى يتيمة ولو أن أباها ما زال حيا ، أى أن قارضها « أبا عامر » ما زال على قيد الحياة .

وللأسف الشديد لم يبق الى عهدنا الا عدد ضئيل من انتاج أبى عامر . وقد ضمت حاشـــية أبى عامر هذا فيلسوف عصره وأشهر أدباء العبرية في الأندلس سليمان ابن جبيرول الذى عرفه العرب باسم « ابى ايوب سليمان بن يحيى » . ولد ابن جبيرول « بملقا » حوالى ١٠٢١ م من عائلة يهودية هاجرت من قرطبة . ومات أبوه وهو صبى فعانى من الفقر فى مسقط رأسه مما اضطره الى النزوح الى سراقسطة ، وكان « أبو أيوب » عليلا انتابته الأمراض صغيرا ولم تثبط علاته من همته فى طلب المعرفة وقرض الشعر العبرى فى مقتبل عمره ، وكان رغم فقره المدقع معتزا بنفسه كما هو واضح فى أول أبيات قرضها وهو فى سن السادسة عشرة :

أنا الرئيس والشعر عبد لى
أنا ربابة للموسيقيين والشعراء
وسنون حياتى ست عشرة ولكننى

احمل بين جنباتي قلب(١) ابن الثمانين

ويصور حالته البائسة في قصيدته المسماة بـ نفس الجريحة :

وهمومي تنبت أشعارى
وآلامي تطارد أحزانني
الهو وقلبى منفطر
ألمـاً لحياتي التي تذبل
يا صاحبي ، ألابن السادسة عشرة
قلق لانتظار يوم وفاته (٢)
أبكاء للذى مازال فى عهد الصبا
بوجنتين كالسوسن الذابل
تحكم عقلى على منذ صباى
فأصبحت نفسى ذليلة
وقنعت بالحكمة والأدب زادا ...
واصبحت نفسى على الدنيا ساخطة

وعندما وصل « ابن جبيرول » الى سراقسطة قصـد رئيس طائفة اليهود « أبا عامر » فرحب به وأكرمه وأبدى إعجابه بذكائه المبكر ، وطاب العيش لابن جبيرول فى رحاب « أبى عامر » وقرض قصـائد عدة يمدح فيهـا ولى نعمته أبا عامر « يقوتئيل » ففى احداها يخاطب نفسه قائلا :

(١) قلب ابن الثمانين أى عقل ابن الثمانين فالقلب عند اليهود الربانيين مركز التفكير ..

(٢) فى الاصل يوم الجمع والجمع فى التلمود يعنى الموت .

قومي وبجلي حبيبك
يقوتئيل زعيم الرؤساء والأمراء
نور العالم وأساس أصل مجامعه
الذي تعتمد عليه أعمدة السماء
الى كلمته تشرئب أعناق
الحكام واليه يصبو الأمراء

ويبدو أن «ابن جبيرول» كان يعتز بنفسه لدرجة أنه كان ينسى لياقة التحدث مع غيره ولا يجيد دبلوماسية معاملة ولى نعمته ، فضاق « أبو عامر » به وأهمله فكتب له هذه الأبيات الثلاثة يستعطفه :

تركتني وهجرتني يا صديقي
حتى سميتك أبى الخاذل
يوم قدر لى أن أهيم بين البشر
لم أجد الا لديك الملاذ
بم أخمد نار قلبي والله قد
قال أن لا رجعة لطوفان نوح(١)

قبل أن يصفح أبو عامر يقوتئيل عن ابن جبيرول استولى عبد الله بن الحكم على السلطة في سراقسطة وقتل يحيى بن المنذر واعتقل انصاره وزج بهم في السجون ، وكان من بينهم يقوتئيل الذى مات سنة ١٠٣٩م في السجن، ورثاه ابن جبيرول بقصيدة طويلة تتكون من ١٠٣ أبيات استهلها بقوله :

---

(١) أى ان نار قلبه لن يخمد الا بطوفان كطوفان نوح .

عهد يقوتئيل الذى مضى
آية تثبت أن السماء مصيرها الفناء
تنبهوا فتدركوا أن الدهر
يعد للناس قبورا قبل أن يخلقوا
ويستولى على عمر قوم ويعطيه لآخرين
حتى خلت أنه يتاجر فى الرجال
لم أدرك هذا ولم يدركه أيضا
كل الحكماء الذين عرفناهم

وبعد أن سمع ابن جبيرول خبر موت أبى عامر يقوتئيل هام الشاب الفيلسوف على وجهه يبحث عن مأوى. وقاسى من بعده مرارة الفقر ـ وعبس القوم فى وجهه بسبب كتاباته الميتافيزيقية التى اعتبروها مخالفة للدين اليهودى. واجبرته الفاقة على ترك سراقسطة ، وعند رحيله قال قصيدة طويلة تتكون من ٥٤ بيتا تبدأ بقوله :

نحر حلقى بصراخى
ولصق بسقف حلقى لسانى
اضطربت دقات قلبى
من كثرة آلامى وأحزانى
عظمت كآبتى حتى
طار النوم من عينى
الى متى الانتظار والى متى
يشتعل كالنار غيظى

اما من مصغ أسرد
وأحكي له كآبتي
لو يوجد مؤس حنون
على يأخذ بيميني
لـكنت أفرغ أمامه ما بقلبي
وأفضي له ببعض أحزاني
ربما ذكر آلامي
يريح قلبي من بعض أوجاعي

وغادر ابن جبيرول سراقسطة قاصدا غرناطة وهناك لجا الى ابن نغريلة فأكرمه في أول الأمر ، لكنه غضب عليه وطرده بعد فترة ربما لآرائه الفلسفية ، ولم يعش بعد أن طرده ابن نغريلة طويلا فمات وهو في أوائل العقد الثالث من عمره وربما لم يبلغه .

وقد طرق ابن جبيرول في شعره العبرى موضاعات شتى ويعتبر شـعره من أحسن ما كتب في الادب العبرى كله . ونظم قصائد عدة على نظـام الموشحات ومن وصفه لروضة :

كتب الشتاء بمداد أمطاره ونداه
وبقلم برقه المضيء وكف سحابه
رسالة على الروضة من زمرد وأرجوان
لا يخطر شبيهها على بال انسان
غارت الأرض من السماء
فطرزت رياضها ككواكب السماء

وقد نظم لأول مرة فى اللغة العبرية قصيدة تتناول النحو العبرى على غرار ألفية ابن مالك وتتكون هذه القصيدة من ٤٠٠ بيت التزم فيها الشاعر توالى حروف الأبجدية العبرية الاثنين والعشرين فى أول كل بيت منها وقد أدخل « بن جبيرول» السجع فى الادب العبرى فى قطعة أدبية ضمنها آراءه الفلسفية عن العالم وعلاقته بالله ، وسمى هذه القطعة «كثر ملخوت» وترجمتها بالعربية « تاج الملك » ٠

ويمكننا أن نقسم هذه القطعة الى قسمين أساسيين:

(أ) يتحدث فيه عن الله وعظمته وجبروته ونوره وحكمته والانسان وضعفه أمام قوة الله ٠

(ب) يتكلم فيه عن الخليقة والكواكب والقمر والشمس والأفلاك والنفس والروح والجسد ٠

وقد ألف كتابا بالعربية يشرح فيه فلسفته وسماه « ينبوع الحياة » وقد ترجم هذا الكتاب الى الأسبانية ثم الى اللاتينية وعنوان الترجمة اللاتينية Fons Vitae وقد حرف اسم ابن جبيرول الى Avicebron وتمت ترجمته الاسبانية واللاتينية بعد وفاة المؤلف بوقت قصير وقد أهمل اليهود دراسة هذا الكتاب بعد أن ضاعت النسخة العربية وبقيت الترجمة اللاتينية لاعتقادهم أن مؤلفه ليس بيهودى وذلك لأن الكتاب يخلو - على غير عادة المؤلفين اليهود - من اقتباسات من العهد القديم أو من التلمود ٠ ويتلخص مضمون الكتاب فى ان العالم

يتكون من : (١) الاله (٢) العـــالم الروحي (٣) العالم المادي • والانسان يتكون من العـــالم الروحي والمادى فجسمه من العالم المادي • وروحه وادراكه من العـــالم الروحي فهو اذا عالم صغير Microcosm ويتحدث في الكتاب عن الفيض الالهي Emanation ويرجع الفضائل والرذائل الى الحواس الخمس •

ويبدو جليا ان « ابن جبيرول » تأثر في كتابة هذا الكتاب بقراءاته في كتب الفلسفة الاسلامية لدرجة كبيرة حتى اعتقد كثيرون ممن درســـوا هذا الكتاب أن مؤلفه مسلم • وظل هذا الاعتقاد سائدا الى سنة ١٨٤٥ م عندما كشف البـاحث اليهـــودى « سليـمان مونك Monk أن هذا الكتاب من تأليف « سليمان ابن جبيرول » • ولم يقدر اليهود « ابن جبيرول » في حياته التقدير اللائق به بل على العكس فانهم اضطهدوه بسبب آرائه الفلسفيــة التي اعتبروها منافية للدين ، لــكن بعد ممــاته نسجت حول شخصيته الأساطير ، ومن هذه أسطورة تقول ان أحد المســـلمين قتله ودفنه تحت شجرة تين في حقله فأثمرت الشجرة تينا يكبر حجمه عن ثمرة التين العادية بشكل استرعى الانتباه • فبدأ الناس يتهافتون للحصول على ثمرة هذه الشجرة ، وسمع حاكم المدينة بأمر هذه الشجرة فاستدعى صاحبها وسأله عن السر فادعى أنه لا يعرف فضغط عليه حتى اعترف بجريمته فأمر الحاكم أن يقتل وتعلق جثته على الشجرة •

ومن الذين عاصروا « ابن جبيرول » وعاشوا معه في سراقسطة، مركز الثقافة اليهودية في شرق الأندلس، شاعر شارك « ابن جبيرول » مر العيش يدعى « ابن الحسن موسى بن التقانة » ويكنى بالتيام وكان ابن الحسن كابن جبيرول عليلا تنتابه الامراض من آن لآخر . ولم يكن له عمل او حرفة معينة بل كان يعتمد على ما يعطيه اغنياء اليهود من الأموال نظير قصائد المدح — ولم يعش ابن الحسن طويلا — ويقول « موسى بن عزرا » في كتابه المحاضرة والمذاكرة انه قتل . وكان ابن الحسن رغم فقره عزيز النفس . وقد ألف عدة قصائد في المدح والهجاء ، ومن أطول قصائده قصيدة بناها على صورة حوار يهجو اديبا ذا سلطة من معاصريه ، ولم يذكر اسم المقصود بالهجاء ، ويستهل القصيدة بالفخر بشعره اذ يقول :

قال لى أبعث دوناش من قبره
أم أعيد لمناحم جسمه (١)

او بعد ان بلى الشعر
يصلح ، ويعيد ريشه كالنسور

فأجبت : أتقول لى ابعث دوناش
فهل تقارنني بالآخرين

---

(١) يقصد دوناش بن لبرط . ومناجم بن سروق السابق ذكرهما.

بالله قل لى من دوناش
ومن مناحم ومن هذا أو ذاك من الشعراء
فكلهم لا يساوون شيئا أمامى
وشعرى أمام شعرهم كنار يلتهم قشا
ولو بعثوا ورأوا ما أنظم من لآلىء ودرر
لشهدوا لى بعلو المكانة
وقال كبيرهم وصغيرهم معا :
لم يخلق فى الدنيا
شاعر ولا كاتب كموسى
ان ابن اسحاق أسد يزأر
وسط قطيع غنم ، وحصان قوى وكلنا حمير
هو البحر الخضم المحيط بالأرض
وما نحن بالنسبة له الا أنهر
الى أن يصل الى قوله :
وها هو ذا الرئيس العظيم
الذى جعله كبار القوم علامة
ونعتوه بالحكمة والادراك
لأنه ألف كتبا بلا عدد

ومن هذين البيتين نستنتج أنه قصد ابن نغريلة ربما بايعاز من صديقه أحياه ابن يونا ابن جناح — واستنتاجنا هذا لأن يونا بن جناح النحوى المشهور كان من أعدى أعداء ابن نغريلة ٠

وقد ظهر فى هـذه الفترة فى مدينة أشبيلية شاعر يدعى ابن زكريا يهودا بن بلعام – اشتهر بهجائه اللاذع ، ولم يسلم من لسـانه الا القليل من معاصريه ٠ وكان ابن بلعام هـذا نحويا ومفسرا أيضـا ، فقد كتب عدة مقالات بالعربية تناول فيها الكلمات التى تسـتعمل فى معان مختـلفة ، والأدوات والحـروف فى اللغة وكذا الأفعـال المشتقة ٠

وتحدث فى مقالة عن النبوة فى العهد القديم – ولم يصلنا الا القليل من أعماله التى ماز ل بعضها مخطوطات محفوظة فى مكتبات متعددة ، وقد قرض شـعرا دينيا اشهره موشحته التى مطلعها :

عندما أتذكر على مضجعى
غرور قلبى واثمه
أقوم وأهرع
الى بيت الهى ومعبدى
هيا فلأستعن برحمة الله
فان رحمته واسعة

وفى لوسانيا التى تقع شرق قرطبة وغرب غرناطة لمع اسم شـاعر وفقيه ذاع صيته وملأ آفاق الاندلس فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر يدعى « اسحق بن غياث » ٠ وولد اسحق بلوسانيا سنة ١٠٣٨ م وتعلم بها وتخرج فى مدرستهـا واصبح رئيسـا لهذه المدرسة ٠ وكان اسحق صديقا مخلصـا لعائلة ابن نغريلة ، فلما

بلغه نبأ موت ابن نغريلة رثاه بقصيدة باللغة الآرامية وضمن تلك القصيدة مدحا « ليهوسف بن صموئيل بن نغريلة » ، وقد أخلص لهذه الأسرة حتى بعد نكبتها فى غرناطة · فقد دعا أسرة «يهوسف بن نغريلة» الى لوسانيا بعد قتل عائلها يهوسف · وعندما وصلت الأسرة الى لوسانيا أكرمها وتعهد بتربية عزريا بن يهوسف الذى مات وهو فى العشرين من عمره وكان اسحق بن غياث استاذا متبحرا فى التفسير والفقة اليهودى · وقد رفع من شأن مدرسة اللاهوت بلوسانيا وجند لها كبار علماء عصره مثل اسحق الفاسى ، ويوسف بن ميجاش ــ وقد اعترف يهود العالم جميعهم بمكانة هذه المدرسة العلمية ، وكانوا يستفتون علماءها دائما فى مشاكلهم الفقهية . وكانت كلمة المدرسة تعتبر فصل الخطاب · وقد نظم اسحق بن غياث من الشعر ما يربو على الثلاثمائة قصيدة دينية « بيوطيم » ·

وقد ظهرت كياسة اسحق بن غياث جلية لليهود عندما فرض الملك عبد الله ملك غرناطة الحصار على لوسانيا بعد أن رفض سكانها اليهود دفع الضرائب التى رفعت بعد قتل يهوسف بن نغريلة ، فقد جمعهم وتعهد أن يفك الحصار وامرهم أن يدفعوا الضرائب المطلوبة منهم ــ وذهب اسحق الى قائد حامية الحصار وأخبره بأن اليهود سيدفعون ما يطلب منهم وطلب منه أن يفك الحصار عن المدينة ويستلم منه الضرائب · ولم يعش

اسحق بعد هذه الحادثة طويلا فقد غلب عليه المرض ونقل الى قرطبة حيث حار طب زمانه فى مرضه ومات • وبكاه اليهـــود فى الأندلس وخارجه وأدخلوا بعض منظوماته الدينية « بيوطيم » فى صلواتهم وابتهالاتهم فىالمناسبات الدينية تخليدا لذكراه • ويمتاز شعره بكثرة اشاراته الى النظريات الفلسفية والطبيعية التى سادت فى عصره• وقد نظم معظم أشعاره الدينية على نمط الموشحات • ومن أشـــهر موشـــحاته القطعة التى ترتل فى عيد الفصح والتى مطلعها :

هو الواحد منذ الأزل
ومعجزاته عرفهـا الجميع
وعجزوا عن حل ألغازها
وحتى التعبير عنها فى جمل
لأن مصير الانسان الموت
وأيامه فى الأرض كالظل
وطريق حياته ليس
مزينا بالذهب والياقوت

وفى قصيدة ترتل فى ثانى أيام عيد الفصح يقول :

عرفتك باسم المتعالى المتكبر
ورأيتك بعملى وليس بمقلتى
حار الحكماء فى معرفة خفايا حكمتك
فان حكمتك تسمو عن كل تفكير

بحثت عنك وانت فى ثنايا مخيلتى
أدركك بعقلى وأراك بفؤادى

ان روحى التى نفختها متعلقة بعرشك
ولو أنها تسكن فى جسد ضعيف فان

أيستطيع الانسان الذى يرى ولا يرى
أن يدرك عظمة الجليل الذى يرى ولا يرى

الفصل الرابع

يهود الأندلس
في القرن الثاني عشر الميلادي

ظهر في هـذا القرن نشاط تلاميذ أساتذة القرن السابق فقد نبغ عدد من تلاميذ اسحق بن غياث واحتلوا مكانة أدبية مثـل يوسف بن سـهل وموسى بن عزرا ويوسف بن يعقوب بن سهل من عائلة عريقة فى العلم والأدب ، وكان شاعرا ممتازا وعالما فى الأمور الدينية . ويمتاز شعره بالعذوبة والقوة . ويوسـف بن يعقوب قريب لابراهيم بن سهل الشـاعر الذى كتب قصـائد بالعربية وذاع صيته فى العالم الاسـلامى والذى من نظمه بالعربية :

وألمى بقلبى جمر مؤجج
تراه على خديه يندى ويبرد
يسائلنى من أى دين مداعبا
وشمل اعتقادى فى هواه مبدد
فؤادى حنيفى ولكن مقلتى
مجوسية من خده النار تعبد

وكان يوسـف بن سـهل تلميذا مخلصا لأستاده اسحق بن غياث ، وظهر اخلاصه جليا أثناء مرض اسحق فبقى بجانب سرير اسحق فى لوسانيا وانتقل معه الى قرطبة لعرضه على الأطباء .

وقد استقر بقرطبة بعد وفاة أستاذه اسحق ، وأظهر براعته في العلوم الدينية بين يهود قرطبة . فعينوه قاضيا شرعيا في مارس سنة ١١١٣ م واستمر في منصبه الى أن مات حوالى سنة ١١٢٣ م .

وقد ضاعت معظم مؤلفاته ولم يصل الينا الا النزر القليل من أعماله ، ومن القصائد التى وصلت الينا قصيدة يشكو فيها من قســوة الدهر أرســلها الى زميله في الدراسة وصديقه موسى بن عزرا يقول فيها :

كيف يكدر الذهب الخالص
وكيف يتغير الابريز الجيد
فهاهي أحجار الشعر الكريمة
ملقـــاة دون اقتنـــاء

أأعمى الله القلوب عن الفهم
أم أغلق العيـون عن النظر
فقد انصرفت قلوب الأثرياء
لجمع كنوز الدنيا
وتخلى كل سيد عن
بلور الشــعر الجميل الأقيم

وبعد موت يوســف بن سهل خلفه في منصــبه فيلسوف يدعى أبا عامر يوسف بن صديق . والقارىء لمؤلفات هذا الفيلسوف يدرك لأول وهلة أنه متأثر بالفلسفة

الاسلامية التى كانت سائدة فى عصره ـ وفلسفته تتلخص فى الآتى :

لا بد أن يعرف الانسان نفســـه ، فمعرفة النفس تؤدى الى معرفة الله وقدرته . وما جاء فى الكتب المقدسة من أوامر ونواه لصالح الانسان وليس لصالح الله الذى هو غنى عن هذا العــالم ومكتف بذاته . وقد توفى هــذا الفيلسوف حوالى سنة ١١٤٨ م .

***

ومن أشهر التلاميذ الذين تعلموا على يد اسحق بن غيات شاعر وكاتب ذاع صـــيته فى أواخر القرن الحادى عشر وأوائل القرن الثانى عشر يدعى موسى بن يعقوب بن عزرا ويكنى بأبى هارون ـ وكان موسى أحد اليهود الذين هاجروا من غرناطة الى لوسانيا بعد قتل يهوســـف بن صمونيل بن نغريلة ـ وفى لوسانيا انضم الى تلاميذ اسحق ابن غياث . وكان موسى هــذا مولعا بالمحسنات البديعيه وخاصة الجناس . ونسج على منوال الجناس العربى أبياتا عبرية أنهى كل مجموعة منها بكلمة واحدة يختلف معناها فى كل بيت . وجمع هذه الأبيات فى كتاب سماه « سفرها عناق » وأهدى هذا الكتاب الى صديق له يدعى ابراهيم بن مهاجر ويتضمن هذا الكتاب ١٢١٠ أبيات تتناول موضوعات مختلفة كالخمريات والحب والوصف .. الخ . وقد قدم بنظمه هذه الأبيات دليلا قاطعا على تمكنه وتعمقه فى ألفاظ

اللغة العبرية ومعانيها . ومن آثار موسى بن عزرا كتاب يعتبر عمدة فى تاريخ الأدب العبرى فى الأندلس وهو كتاب « المحاضرة والمذاكرة » . وقد كتب الكتاب بالعربية مستعملا الحروف العبرية كعادة أهل زمانه من اليهود .

ويمكننا تقسيم هذا الكتاب الى ثمانية موضوعات ، كل موضوع يبدأ بسؤال يوجهه أحد التلاميذ الى موسى ويجيب عنه. وتتناول الاجابات تاريخ أدب وشعر ونصائح للشعراء والأدباء . وفى المقدمة يعترف موسى بفضل الثقافة العربية على اليهود . والكتاب لا يزال مخطوطة بمكتبة بودليان بأكسفورد والنسخة التى يعتمد عليها الباحثون فى وقتنا هذا ترجمة هالبى العبرية لهذا الكتاب بعنوان « شيرت يسرائيل » أى « شعر اسرائيل » . ونستطيع أن نقول ان هالبى وفق فى ترجمته هذه ، وقد ألف موسى عددا من الكتب الفلسفية بالعربية بحروف عبرية من بينها « كتاب الحديقة » ولم يطبع هذا الكتاب بعد وهو مخطوطة محفوظة بمكتبة بودليان .

وكتاباته الشعرية بالعبرية تمتاز بتعدد الموضوعات، فمن شعره عن الحياة والموت :

فليذكر الانسان فى حياته
أنه يسير فى طريق الموت
يسافر كل يوم رحلة بطيئة
ويظن أنه مستقر

مثله كراكب السفينة المستقر
لكنه في الحقيقة يطير على جناح الريح

ويقول في الخمر :

اشرب يا أخي واسقني حتى
أسلم أحزان قلبي ليد الكأس
واذا مت أمام عينيك
فأسرع واحيني كما يحيي عازف العود الوتر

وهاجر موسى فى أواخر أيامه الى أسبانيا المسيحية حيث استقر هناك الى أن مات • وتقول الرواية انه هاجر لأنه أحب بنت أخيه حبا جارفا وطلب أن يتزوجها فرفض أخوه ونهره (١) فلم يطق العيش بجوارها محروما منها وآثر الهجرة •

***

وبعد نكبة اليهود في غرناطة هاجر بعضهم الى مدينة سراقسطة حيث كانت تحت حكم المقتدر بالله الذى استوزر يهوديا يدعى أبا الفضل بن يوسف بن حسداى • وابو الفضل هذا كان شاعرا محبا للأدب والأدباء مشجعا لهم • وظهر فى حاشيته لغوى وشاعر يدعى أبا الفهم لاوى ابن يعقوب بن التبان الذى أنشأ مدرسة ضمت بعض العلماء

(١) راجع حاييم شيرمان «هاشيراه هاعفريت بسفراد أوبروفانس» الجزء الاول ص ٣٦٤ •

والأدباء اليهود المشاهير أمثال اسحق بن بارون ويهوذا اللاوى . وقد نظم أبو الفهم أكثر من ستين قطعة شعرية من نوع « البيوطيم » . وقد ضمت خطأ بعض مقطوعاته الشعرية الى ديوان يهوذا اللاوى الذى سيأتى ذكره فيما بعد وذلك للتشابه بين شعر الأستاذ والتلميذ (يهوذا اللاوى) . ومن الأسباب التى - دعت للخلط بين شعره وشعر يهوذا اللاوى أن كليهما كان يكتب فى بعض القصائد الاسم (لاوى) بحيث تقرأ من أعلى الى أسفل اذا أخذنا أول حرف من كل بيت من القصيدة Acrostic بمعنى أن أول حرف فى البيت الأول «ل» وأول حرف فى البيت الثانى «أ» وأول حرف فى البيت الثالث «و» وأول حرف فى البيت الرابع «ى» .

وكان أبو الفهم متعصبا لليهودية يتطاول على ماعداها من الأديان .

وقد عاصر أبو الفهم دخول المرابطين الأندلس وهو يقول فيهم :

أرهقوا الشعب بالضرائب وصلبوا الرؤساء
ولم يبجلوا شـــيوخهم
عضوا أيدى الملوك كأفاع
أطلقت من جحورها
وأرسلوا رجالا ليسبوا نساء
حسبما يطيب لهم

ومن معاصرى أبى الفهم هذا فيلسوف وشاعر عاش فى سراقسطة هو بحيا بن يوسف بن بقودة • درس ابن بقودة الفلسفة وتعمق فيها وضمن دراســـاته فى كتاب فلسفى أخلاقى كتبه بالعربية بعنوان « واجبات القلوب » ويبدو تأثره بفلسفة الغزالى واضحا فى هذا الكتـــاب • ويقول فيه ان الغرض من تأليف الكتاب هو أن ينبه الى أن الفضيلة الكبرى هى نقاء الضمير والنية الحسنة وليست الأعمال الشكلية • وينصح القارىء أن يدرس الفلســـفة والعلوم الطبيعية وما يتعلق بها من دراسات تساعد على التعمق فيها لأن التعمق فى الفلسفة يساعد على زيادة تقدير الانســـان لله • ولقد لقى كتابه هذا اعجابا من معـــاصريه ومن اليهود فى العصور التالية • وقد ترجم هذا الكتاب الى العبرية يهودا بن تبون • وفى مجال الشعر نظم بحيا بن بقودة عدة قصائددينية فقد أكثرها مع مرور الزمن وبعضها لا يزال فى صورة مخطوطات ، وقد نشر القليل منها ، وأشهر قصائده القصيدة التى لم يتقيد فيها بالبحور التى كانت سائدة فى عصره والتى مطلعها :

بارکی یا نفسی اللـــه
ولتبارك كل أحشائى اسمه القدسى
يا نفسى تقدمى بقوة
وباركى خالقك
واذكرى نعمته
ورتلى صـــلاتك

واستيقظى من نومك
وفكرى فى قيمتك

من أين جئت وإلى أين أنت ذاهبه
يا نفسى هبى من سباتك

ورتلى مديحك لخالقك
وكبرى اسمه

وداومى على ذكر معجزاته
واتقيه أينما كنت

لا تكونى كحصان
أو كبغلة لا تفهم

أو كسكير فى نشـــوة
أو انسان فى غيبوبة

إذ خلقت من مصدر ادراك
ومن منبع الحكمة خرجت

ومن مكان مقدس أخذت
ومن حول الملائكة أنزلت

من عند الله ، من السماء

ولم يكن يحيا هو الشاعر الوحيد فى عائلتـه فابن عمه أبو سـليمان داود بن العزر بن بقودة قرض حوالى أربعين قصيدة من نوع البيوطيم ٠

وفي القرن الثاني عشر الميلادي ظهر شاعر وفيلسوف يعتبره الكثير من اليهود للآن أحســـن من نظم شـــعرا بالعبرية . ويدعى يهوذا بن صموئيل اللاوى ويكنى بأبى الحسن اللاوى . وقد ولد حوالى سنة ١٠٨٦ م في أسبانيا المسيحية وسافر جنوبا الى لوسانيا ليلتحق بمدرســـتها حيث تتلمذ على الفاسي . ودرس هناك اللغة العبرية وعلوم الديانة اليهودية والفلسفة وكذلك اللغة العربية وآدابها . وبجانب هذه العلوم درس الطب ومارسه في عدد من مدن الاندلس .

وعندما تقدم به العمر خرج من الأندلس الى الشرق قاصدا القـدس للحج ورست سفينته بالاسكندرية حيث اســـتضافه هارون بن صهيون بن المانى وكان من أثرياء اليهود بالاسكندرية . وبعد ثلاثة اشـــهر من وصوله الى الاسكندرية أرسل أبو منصور بن حنانيـــا يدعوه لزيارة القاهرة ، وكان أبو منصور يحتل مركزا مهما في الدولة . وفي القاهرة أكرمه يهود المدينة وألحوا عليه أن يقيم في القـــاهرة ولكنه رفض بحجة أنه جاء الى الشرق لزيارة الأماكن المقدسة في فلسطين وليس للاقامة بالقـــاهرة . وغادر القاهرة الى دمياط لزيارة صـــديق يهودى يدعى سعيد بن حلفون بن اللاوى . وبعد أن أمضى عـــدة أيام بدمياط توجه الى الشام ومات هنـــاك سنة ١١٤١ م . وتقول الروايات اليهودية ان عربيا قتله وهو في مشارف القدس .

وقد ترك يهوذا ثروة أدبية فى المجال الدينى والأدبى والفلسفى - ومن شعره الدينى بيتان سماهما عبد الله :

عبيد الدنيا عبيد لعبيد
وانما الحر هو عبد الله

حين يسعى كل امرىء الى هوايته
تقول نفسى هوايتى تسبيح الله

وقد قرض قصائد نترتل فى المناسبات الدينية اليهودية فمن هذه القصائد التى قرضها لعيد الكيوريم قصيدة مطلعها :

الهى بمن أمثلك ؟
وليس هناك من يعاد لك

بمن أشبهك
وكل صورة من عملك

علوت على كل درجة
وسموت عن كل تقدير

أى ألفاظ تصورك
وأى لغة تستطيع أن تعبر عنك

لم يخلق قلب يدركك
او عين تستطيع رؤيتك (١)

---

(١) الترجمة فى هذا البيت بتصرف .

ويقول في قصيدة يناجي فيها الله :

من مثلك يا عالم الأسرار

تسابيحك تملأ النفس جلالا – يا صانع المعجزات

تخلق الكل من عدم

يراك الفؤاد ولا تراك العين

لا تسألني كيف وأين

فهو ملء السموات والأرض

أبعد عن الشـــهوات

تر الله بفؤادك

تواضع في خطوتك

فالله هو المعز المذل

وقد نظم يهوذا نوعا من الشـــعر لم يطرقه أحد من شعراء العبرية قبله وهو شعر الألغاز ، فمن هذا الشعر قوله عن القلم :

رفيع جـاف أملس

أخرس ولو انه طليق اللسان

يقتل المرء في صمت

ويريق الدماء بفمه (١)

ومن أشهر ما ألف من كتب هو كتاب «الحجج والدليل

---

(١) في النص العبري مؤنث .

فى نصر الدين الذليل » ، وقد كتبه بالعربية بحروف عبرية وضمنه آراءه الدينية والفلسفية ، وليشوق القارىء غلف الكتاب بغلاف قصصى تاريخى · فتصور أن ملكا وثنيا فى منطقة الخزر ظهر له ملاك فى حلمه وقال له ان نواياه حسنة وطيبة ولكن طريقة عبادته لخالقه خاطئة ، ويجدر به أن يعتنق دينا سماويا يختاره من بين اليهودية والمسيحية والاسلام · ويقول يهوذا اللاوى انه فكر فى أن يعتنق الاسلام أو المسيحية ولم يفكر قط فى اليهودية اذ أنها دين الاذلاء ، واستدعى قسيسا ليشرح له معتقدات المسيحية وتعاليمها ، فلاحظ الملك أن المسيحية تعتمد وترتكز فى كثير من التعاليم على اليهودية ولا تعارضها الا فى فكرة الاله · ولم يقتنع بفكرة التثليث فى المسيحية ، فصرفه ·

ثم استدعى عالما من علماء الاسلام ليشرح له تعاليم الديانة الاسلامية وفهم منه أن الاسلام ليس فيه معجزات اللهم الا القرآن الكريم الذى يعتبر معجزة الاسلام وكفى · ففكر الملك قليلا وقال : « ان القرآن بالعربية ولا يستطيع احد غير عربى أن يدرك هذه المعجزة ورفض اعتناق الاسلام» لأنه لا يعرف مدى معجزة الاسلام واخيرا استدعى بعد تردد حاخاما يهوديا · فبدأ الحاخام حديثه مع الملك بقوله ان اليهود يعبدون ربهم الذى أخرجهم من مصر وخصهم بالنبوة ·

هذا ملخص القصة التى غلف بها يهوذا اللاوى كتابه « الحجج والدليل فى نصر الدين الذليل » وحقيقة الكتاب

هي نقد موجه الى الدينين السماويين الاسلام والمسيحية وكذا الى تعاليم طائفة اليهود القرائين (١) وان دل الكتاب على شيء فهو يدل على أن مؤلفه متمكن من الديانة اليهـودية وملم بالعقيدة الاسلامية والمسيحية وفلسفة الاغريق (فلسـفة أرسطو والأفلاطونية الحديثة) وكذا فلسفة ابن سينا .

وكان ليهوذا اللاوى بعض الأصدقاء العلماء نذكر منهم يوســف بن ميجاش الذى علق على بعض أجـزاء التلمود ويوسف بن شيشت الذى قرض بعض الموشحات الدينية . ومن الصداقات التى كان يعتز بهـا يهوذا اللاوى صـداقة سـليمان بن المعلم الذى رافقه فى بعض رحـلاته فى ربوع الأندلس ونظم ابن المعلم قصيدة يخلد هذه الصداقة مطلعها:

أمطر ينهمر أم عينان تدمعان
أبرق سماء أم نار قلبى (٢)
أوجـــه يهوذا أم نور قمـــر
أم هذا ضوؤه أم ضــوء نهار

وفى نفس هذا القرن أى الثانى عشر ظهر فى قرطبة قاض يهودى يدعى يوسف بن صديق، وكان يكنى بابى عمر

---

(١) طائفة يهودية انشأها عنان بن داود فى القرن الثامن الميلادى معارضا حاخامات اليهـود ورجال الدين في عصره ونافيـا لقدسية التلمود وداعيا اليهود الى التمسك بالعهد القديم ونبذ كل ما جاء فى التلمود .

(٢) فى الاصل العبرى سماء ..

يوسف بن يعقوب ، ويبدو أن أبا عمر اعتنق الاسلام فى أواخر أيامه . ألف يوسف كتابا فلسفيا بالعربية لم يبق الى عهدنا منه الا الترجمة العبرية بعنوان « عولام قاطان » أى عالم صغير ، وقد ضمن يوسف فى هذا الكتاب فلسفته المتأثرة بالأفلاطونية الحديثة ؛ كما قرض يوسف الشعر فله بعض الأشعار الدينية والدنيوية فمن شعره فى الحب موشحة طويلة مطلعها :

لا نهاية لآلامي ولو أن الشفاء نهاية كل علة
اخوتى هل لى بجلعاد (١) شفاء
أم لى فى خطوات صبية تصبو اليها الملوك

ومن قصائده الدينية قصيدة مطلعها :

خالق الناس وما يجيش بصدورهم
يدرك ويرى أسرارهم
اذا فتشت صدورهم
فاسمه منقوش بألواح صدورهم

وفى هذا القرن أيضا عرفت العبرية نوعا جديدا من الأدب لأول مـــرة على يد سليمان بن صقبل ، وهو فن المقامات . فقد ألف مقامة واحدة على نمط المقامات العربية . وراوى هذه المقــامة هو « أشر بن يهوذا » وتبــدأ المقامة بقوله :

حكى اشر بن يهــوذا : كنت أجلس يوما مع اخوتى

---

(١) يشير الى سفر أرمياء الاصحاح الثامن : آية ٢٢ .

وأصدقائي بجوار باب المدينـــة كل يحكي قصة ، ويقص حكاية ، وقلت سأذكر اليوم ذنبا ارتكبته ـ كنت في أيام صباي. مثل الغزال الذي يقفز على الجبال. ويسكن الوديان. هناك كنت احتفل بالمواسم والأعياد ، ولم يكن معي انسان، كان لباسي من السأتان ، والحب شـباكي ونصيبي ، لـكن تقلب على الزمان ، ومضت أيام وسنون ، حتى بلى كسائي واشتقت يوما لموطن رأسي · فوصلت ليلا الى مدينتي، وكان أهلي وعشيرتي ، يغطون في نومهم ، وقرعت بابهم ، وكانوا قد يئسوا من عودتي · وناديت قائلا : « هأنذا عدت » . فارتعدت قلوبهم ، ولم يصـدقوا آذانهم ، حتى تعرفوا على صوتي وفتحوا لي بابهم ، وعانقوني قائلين : « احيانا الله حتى رأيناك وجها لوجه » وغســـلوا يدى ورجلي ، وخلعوا ملبسي المتسخ وألبسوني ملابس جميلة . ومكثت معهم ثلاثة أيام وثلاث ليال . أشرب وآكل · وفي اليوم الرابع خرجنا سكارى · وكأنه لا يوجد على الأرض من يبارى · نستنشق النســيم العليل . ونشرب الماء الزلال ، وكان على مجـارى المياه ظباء جميلات وحمام يهدل وبينما أستمع لهديله وأنصت اليه ـ واذا بجميلة تطل من النافذة ـ تغمز بعينيها وتشير بيمينها ، فجذبتني عيناها من رفاقي واذا بصوت يدعوني قائلا : «اقترب مني لأحدثك وأرتمي في أحضانك» فاقتربت ووقفت حيال الصوت ، فسقطت على تفاحة معطرة نقش على جانب منها :

من يسعى وراء الظباء

يجر في خضم بحار وجبال ومتاهات

كف لأنهن فى أحواش مصونات
ومحصنات داخـل حجـــرات

وعلى الجانب الآخر :

الى من سكر بنبيذ معتق أو جديد
ويهتـــز كالنخـــل والكافور
لك يســـكر قلبى ويهتـــز
واليـــك حـــبى يشـــير

وقد أدخل سليمان بن صقبل(١) بهذه المقامة الطويلة التى أوردنا الفقرات الأولى منها فنا طالما اشتاق اليهود أن يقرأوه فى الأدب العبرى بعدما استمتعوا بقراءته فى الأدب العربى • وقد قلد ابن صقبل كثيرون مثل يوسف بن زبارا الذى الف « سفر شعشوعيم » ولكن كان أحسنهم هو يهودا ابن سليمان الحريزى الذى سيأتى ذكره فيما بعد •

وعـلاوة على تقليد اليهـود للعرب فى النثر الأدبى والشعر فقد شهد القرن الثانى عشر كتابا يهودا ألفوا كتبا فى الجغرافية والتاريخ والرحـلات متخـذين الكتب العربية نموذجا لكتاباتهم •

---

(١) فى مخطوطه عاركاف ن ٤٧ ص ٢ يظهر اسم أبى أيوب بن سهل كمؤلف لهذه المقامة ، وربما أن أبا أيوب كنية لسليمان وابن سهل اسم عائلة سليمان ـ نشر هذه المقامة لاول مرة Schorr سنة ١٨٥٦ في مجلة « هاحالوص » العبرية جزء ٢ صفحات ١٥٤ ـ ١٥٨ •

فمن الذين كتبوا فى هذا الفن بنيامين التوتيلى المتوفى سنة ١١٩٠ م الذى ألف كتابا بعنوان « همساعوث » أى « الرحلات » ويعد كتابه هذا مرجعا هاما فى تاريخ اليهود وأحوالهم وجغرافية البلاد التى كانوا يعيشـون فيها فى عصره · فقد كتب بالتفصيل عن رحلاته فى شمال أسبانيا وجنوب فرنسا وايطاليا وتركيا وجزائر بحر ايجه وقبرص وسوريا وفلسطين والعراق واليمن ومصر وصقلية ووصف مدنها الرئيسية وأسماء اليهود البارزين فى كل مدينة ـ فنجد مثـلا أنه أفرد جزءا كبيرا لوصف روما والاسكندرية وأشار الى المعاملة الطيبة التى كان يلقاها اليهود تحت ظل الخلافة الاسلامية · وقد كتب أيضا عن البلاد التى لم يزرها ولكنه سمع عنها مثل الهند وسيلان وبولندا وروسيا ·

وشهد القرن الثانى عشر نهضة فكرية فظهرت مؤلفات فى علوم مختلفة فمن هذه «سفر هقباله» أى كتاب التصوف الذى ألفه ابراهيم بن داود الطليطلى ـ ومصنفات فى شروح العهد القديم والشـعر والفلسفة والنحو العبرى ألفهـا ابراهيم بن عزرا (١) الذى تنقل فى عدة بلاد أوربية · ومن أهم هذه المصنفات « سفر صحوت » أى كتاب الايضاح وهو فى النحـو العبرى ·· وشروح دانيـال والمزامير · وابراهيم بن عزرا هو أول من أدخـل الحوار فى الشـعر العبرى مثل حوار بين انسان وحيوان والصيف والشتاء ·

---

(١) اخو موسى بن عزرا السابق ذكره ·

وقد عرف الأدب العبرى لأول مرة على يد ابراهيم بن عزرا الشعر السياسى على شكل حوار بين الحمر والسود ويعنى بالحمر الأسبان وبالسود البربر الذين كانت الحرب بينهم سجالا على أرض أسبانيا فى عصره ·

ومن أشـــــهر مؤلفات ابراهيم بن عزرا قطعة أدبية أرسلها الى صديق له في تونس يدعى صموئيل بن جامع بعنوان « حي بن مقيص » وكتب هذه القطعة بالسجع على نهج مقالة ابن سينا « حى بن يقظان » ، وتتلخص هذه القطعة في أن ابراهيم بن عزرا تصور أنه قابل شيخا يدعى حى بن مقيص وقاما برحلة معا بين الأفلاك حتى وصلا الى الفلك الأعلى « التاسع » الذى هو أقصى مكـان يستطيع أن يصل اليه بشر ، وهنـاك أمرا أن يخلعـا نعالهمـا · ويبدأ ابراهيم هذه القطعة بقوله : (١)

اسمعوا أيها الحكماء ألفاظى، ويا أيها العارفون اصغوا الى كلماتى · افهموا أيها الرجال والشيوخ ، وانصتوا أيها الشباب ، فان لساني ينطق دائما بالحق وشفتاى لا تنطقان عن الهـوى · لقـد تركت بيتي وأملاكى ورحلت من منزلى ومسـقط رأسى ومقر أهلى بعـد أن طعننى أهلى وسبونى وجعلونى ناطورة لكن ليس لكرمى(٢) ·

---

(١) الترجمة بتصرف ·

(٢) راجع للاقتباس سـفر نشـيد الانشـاد الاصحاح الاول آية : ٦ ·

ويصف الرحلة بعد هذه المقدمة بقوله : قلت سأتبعك، وأتجول معك ، أبتهج وأفرح بقربك ، وأسر بصداقتك ، وأطرب طربا يفوق تأثير الخمر بوجودى معك، فقال لى : ابت بي تستطيع ان تطير معي وجناحاك مكسوران ، وليس لك ريش ، فقلت : من يعطينى جناح حمامة لأطير وأهبط ، أرجوك يا سيدى ألا تردنى فقد شكوت اليك حالى ، وفيك وضعت أملي ، فداو مرضي وضمد جراحى · ففادنى وسرنا فى طريق خلته قريبا الى أرض رحبة واسعة ، مقسمة الى ثلاث شعب عميقة وبعيدة ، أولى هذه الشعب ماء ، ونهايتها سماء ، والأخريان وهما الأصل أحداهما نهاية المشرق والثانية أولها المغرب كل تضفى على الأخرى نورا وبهاء ····· الخ

وكان ابراهيم شاعرا لا بأس به فمن شعره هذه الأبيات الأربعة التى كتبها يندب حظه :

بكرت لبيت الرئيس ، قالوا قد خرج فى مركبته
وذهبت اليه عند الغروب ، قالوا قد نام فى سريره
تارة اعتلى مركبته ، وأخرى اعتلى سريره
يا ويل لرجل تعس ولد دون حظ

ومن شعره يصف الأمم :

العرب نبغوا فى شعر الحب والغزل
والأوربيون فى الحرب والانتقام
واليونان فى الحكمة والفلسفة
والهنود فى الأمثال والحكم
واليهود فى الشعر وتسبيحات رب الجنود

وقد خلف ابراهيم ديوان شعر، وكان لابراهيم بن عزرا ابن يدعى اسحق ورث عن أبيه حب التجوال والترحال ، ولد في الاندلس ورحل الى مصر بعد دخول الموحدين أرض الأندلس ، ومن مصر هاجر الى العراق حيث نزل ضيفا على العالم اليهودى الشهير نتانيئيل بن على المعروف بأبى البركة هبة الله • وفي بغداد ترجم اسـحق الى العربية شرح نتانيئيل لسفر الجامعة حوالى سنة ١١٤٣م • وفي هـذه السنة (سنة ١١٤٣ م) اعتنق نتانيئيل الاسـلام وتبعه اسحق واعلن اسلامه •

ومات اسحق مسلما قبل وفاة والده ابراهيم بن عزرا، وسمع ابراهيم بن عزرا خبر وفاة ابنه بعد ثلاث سنوات فرثاه بقصيدة مطلعها :

يا أبا الولد اقترب وارثه
لأن الله ابعده عنـك

الفصل الخامس

يهود الأندلس
في عصر الموحدين

بدخول الموحدين الاندلس واستيلائهم على السلطة هاجر كثير من اليهود من هذه البلاد بعضهم الى أسبانيا المسيحية والبعض الى البلاد العربية فى المشرق والمغرب ٠ ومن أشهر علماء اليهود الذين تركوا الأندلس فى عصر الموحدين موسى بن ميمون الذى يسميه العرب بأبى عمران موسى بن ميمون عبيد الله ويسميه الأوروبيون «ميمونيدس» واليهود يختصرون اسمه الى « رميم » ولد موسى بقرطبة سنة ١١٣٥ م ٠ وتربى فى بيئة علمية ٠ وعاش بقرطبة الى أن فتحها عبد المؤمن بن على الكومى الزناتى سنة ١١٤٨ م وعرض الاسلام على الذميين من أهل قرطبة ، من قبله سلم ومن رأى دون ذلك فعليه أن يرحل من المدينة فخرجت عائلة موسى بن ميمون من قرطبة الى المارية ومكثت هناك الى أن فتح أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الكومى المارية وطرد الجيش الأسبانى المسيحى سنة ١١٦٠ م٠ وسلك أبو يعقوب فى المارية مع الذميين مسلك أبيه فى قرطبة ٠ فنزحت أسرة ميمون مرة ثانية قاصدة مدينة فاس «فى المغرب»٠ وهناك تتلمذ موسى على عالم يدعى يهوذا الكاهن ٠ ولم تستقر أسرة ميمون طويلا فى فاس بل تركتها حوالى سنة ١١٦٥م وأبحرت الى عكا ثم الى مصر واستقرت فى مدينة الفسطاط حيث كان الحكام من الخلفاء الفاطميين يحسنون معاملة اليهود

وغيرهم من الذميين . وكانت مصر فى هذه الفترة ملاذا لليهود الذين كانوا ينزحون من الأندلس . وأنشأ يهود الاندلس جاليه فى الفسطاط وأسسوا مدرسة لتعليم علوم الديانة اليهودية والفلسفة والرياضة والطب . وانضم موسى بن ميمون لهذه المدرسة . وواصل البحث والدرس ولم يمض وقت طويل حتى أصبح من أساتذتها المبرزين ، والتف حوله كثير من شباب اليهود المتعطش للمعرفة، وكان من أبرز تلاميذه يوسف بن عقنين المعروف عند العرب باسم ابى الحجاج يوسف بن محيى بن اسحق السبتى المغربى، والذىاشتهر كطبيب وفلكى بارع وكذا سعديا بن بركات.

وقد مارس موسى بن ميمون الطب وذاع صيته وعالج الحكام الايوبيين الذين استولوا على الحكم بعد أن زالت دولة الفاطميين سنة ١١٧١م . وعين موسى بن ميمون طبيبا خاصا للملك الأفضل نور الدين أبى الحسن على بن صلاح الدين الأيوبى .

وقد سجل براعة موسى فى الطب شاعر صلاح الدين الأيوبى القاضى هبة الله بن سناء الملك فى قصيدة يقول فيها :

أرى طب جالينوس للجسم وحده
وطب ابى عمران للعقل والجسم
فلو انه طب الزمان بعلمه
لأبراه من داء الجهالة بالعلم

وقد اعتنق موسى بن ميمون الاسلام فى أواخر أيامه.

ولو أن اليهود ينكرون اليوم اسلامه ولكن ما كتبه احد معاصريه على شاهد مقامه يدحض انكارهم هذا · فقد كتب على مقامه فى طبرية بالعبرية ما ترجمته :

« دفن فى هذا القبر موسى بن ميمون الطريد المحروم الكافر »

ومات موسى بن ميمون سنة ١٢٠٤ م بعد أن خلف ثروة أدبيـــة وعلمية وطبيـــة وفيرة ، ولا تزال مؤلفاته من أمهات الكتب التى يرجع اليها علماء اليهود فى الديانة والفقه اليهودى مما جعلهم يقولون فيه «من موسى(١) الى موسى(٢)، لم يظهر كموسى » · وجـــدير بالذكر أن معظم مؤلفـــاته بالعربية بخط عبرى ولم تصل الينا كل مصنفاته · ومن أشهر مؤلفاته الدينية كتاب السراج وهو تفسير للمشنا(٣)· وقد ترجم الى العبرية فى برشلونة سنة ١٢٩٦م · وكتاب « مشنا توراة » بالعبرية ، وقد تغير عنوانه فيما بعد الى « يد حزاقة » أى يد قوية وهو كتاب فى الفقه اليهودى ، وكتاب (الفرائض) بالعربية وهو تبسيط للكتاب السابق وكتاب (دليل الحائرين أو دلالة الحائرين) بالعربية وهو كتاب فى الفلسفه اللاهوتية · ويقول فى مقدمته انه كتبه استجابة لرغبة تلميذه النابه يوسـف بن عقنين السـابق

(١) النبى موسى عليه السلام .

(٢) موسى بن ميمون .

(٣) قسـم من التلمود الذى ينقسم الى قسمين : المشـنا والجمارا . والمشنا بمثابة المتن والجمارا بمثابة الشرح .

ذكره • وهو متأثر فى فلسفته التى ضمنها فى هذا الكتاب بالفلسفة الاغريقية والفلاسفة المسلمين أمثـــال الفارابى والغزالى وابن باجة والرازى وابن طفيـل وغـيرهم • فهو يتحدث فيه عن ماهية الله وكيفية ادراكه ويصفه بصفات سلبية ويرى أن تعدد أسمائه انما هى اشارة الى كمال ذاته وليس الى تعدد صفاته•ويتكلم عن النبوة ودرجاتها ويحدثنا عن الشر والانسان وخلقه ويختتم الكتاب بنصائح أخلاقية• وقد تعرض أيضا فى هذا الكتاب الى المقارنة بين التوحيد الاسلامى واليهودى •

وقد ترجم هــذا الكتاب الى لغـات عدة كانت أولاها العبرية بعنوان « موريه هنفوخيم » • وهناك ترجمتان الى العبرية احداهما لصموئيل بن تبون وهى الترجمة المعتمدة والأخرى ليهوذا الحريزى •

والى جانب مؤلفاته فى اللاهوت والفقه والفلسفة فقد صنف عدة كتب فى الطب بالعربية ككتاب المختصر لكتب جالينوس الذى ألفه بالاشتراك مع تلميذه يوسف بن عقنين والرسالة الفاضلية فى أنواع السموم والأدوية القاتلة وفى مقدمة هذهالرسالة يمدح القاضىالفاضل عبد الرحيمالبيسانى وكان مرجعه فى هــذه الرســالة كتابات ابن زهر الطبيب الأندلسى• وقد كتب رسالة تشتمل على نصائح طبية وينوه فى هذه الرسالة الى أهمية علاج الحالات النفسانية فى علاج أمراض البدن•وكتب مقالتين احداهما عن البواسير والأخرى عن الربو •

***

ونختتم عرضنا هذا بذكر أديب يهودى كان من أواخر الذين عاشوا تحت ظل الثقافة العربية الأندلسية هو يهوذا ابن سيلمان الحريزى · ذاع صيت يهوذا هذا كأبدع كاتب للمقامات فى العبرية · ولد يهوذا فى الأندلس وهاجر شمالا الى أسبانيا المسيحية وهو صبى ، وهناك واصل تعليمه فى مدارس يهودية ظلت تحت تأثير الثقافة العربية رغم وجودها على أرض غير عربية · واكتسب يهوذا شهرته من ترجمته لمقامات الحريرى العربية الى العبرية ، هذه الترجمة التى لم يبق منها الا مخطوطة ناقصة بمكتبة بودليان باكسفورد نبدأ من الجزء الأخير من المقامة الأولى الى المقامة السابعة والعشرين ·

وقد حرص يهوذا فى ترجمته هذه أن يصبغها بصبغة يهودية بمعنى أنه لم يتقيد بالنص العربى الذى يشير أو يقتبس آيات من القرآن الكريم أو أمثالا أو تقاليد عربية أو أسماء لقبائل وشعراء عرب ·

وقد ترجم أيضا أدب الفلاسفة لاسحق بن حنين (طبع الترجمة ليوونثال فى فرانكفورت سنة ١٨٩٦ ، وبعض مقالات من « سد رزراعيم » من شرح موسى بن ميمون للمشنا (طبعت دون ذكر مكان الطبع سنة ١٤٩٢ م) وكذا ترجم دلالة الحائرين لموسى بن ميمون وقد طبع هذه الترجمة شولوسبرج فى لندن ١٨١٥ ـ ١٨٦٩ من مخطوطة باريس رقم Sup 64 وقد ترجم أيضا كتبا ترجمت من اليونانية

الى العربية مثل الرسالة التى سماها « اجرت هموســـار هاكوليلت» أى رسالة الأدب الجامع، وقد ترجم هذه الرسالة من اليونانيـــة الى العربيـــة على بن رضـــوان ٠ وطبعت الترجمة العبرية فى ريفا سنة ١٥٥٩ م وفى ليبزج سنة ١٨٤٤ م ، وترجم كتاب النفس وهو عبارة عن حوار بين جالينوس وتلميذ له عن الروح والجسم والعقل ، وطبعت الترجمة العبرية ســـنة ١٥١٩ م دون ذكر مكان الطبع ٠ وترجم أيضا كتاب « السياسة فى تدبير الرياسة » والذى يسمى أحيانا « سر الأسرار » ٠

والحريزى لم يتعلم أى مهنة غير الأدب والترجمة٠ لذا فقد كان يتجول فى شمال اسبانيا وجنوب فرنسا يترجم ما يطلب منه من العربية الى العبرية ويمدح بالعبرية كل من يغدق عليه ويهجو كل من يمسك عنه ٠ وبعد أن قضى فترة شبابه متجولا فكر فى أواخر أيامه أن يقوم برحلة الى الشرق ليمدح أثرياء اليهود فى الشرق أمـلا فى الاغداق عليه ٠ وزار مصر والشام والعراق وكان فى كل بلد يحل بها يمدح وجهاء اليهود فيها ٠ وفى سوريا بدأ كتابة مقامات بالعبرية ليهديها الى من يمدون له يد المســـاعدة المالية ٠ ومقاماته التى تسمى اليوم «بتحكمونى» تتضمن ٥٠ مقامة٠ يروى هذه المقامات « هيمان ها ازراحى » وبطل المقامات « حبرهاقينى » وهما اسمان اقتبسهما الحريزى من العهد القديم ٠ وفى هذه المقامات أثبت الحريزى أنه أديب ممتاز يستطيع أن يتلاعب بالألفاظ ويحسن استعمال المحسنات

اللفظية والبديعية ٠ وتشتمل مقامات الحريزى على فكاهة وفلسفة وحكم وأمثال٠ ومما زاد فى أهمية المقامات الحريزية اشـــتمالها على مقامتين ضـــمنهما تاريخ الأدب العبرى فى الأندلس ٠ وقد جمع الحريزى فى المقامة الأخيرة مجموعة من أشعاره التى قرضها فى مناسبات مختلفة ٠

وقد كتب الحريزى مقامة بالعربية (١) بخط عبرى يسرد رحلته فى الشرق ويقول فى هذه المقامة :

واما جماعة الكركانى ففيهم قلت :

أســـفا لفقد أفاضل الأزمان
وذهاب أهل البر والاحســـان
تبكى المعالى ملوعينيها (٢) علـى
شر اليهود تحل بالكركان (٣)
فاليوم ليس بها ســـوى قوم غدوا
لجهنم حطبا لدى الفوران ٠٠٠

واما جماعة دقوقه (٤) فانها جماعة صالحة رأيت فيها النسيىء(٥) ، عزرا بن النـاسخة وهو جامع الفضائل ،

---

(١) وجد جزء من هذه المقامة فى جيزة ـ القاهرة وهذا الجزء الآن بنيويورك بمكتبة معهد الدراسات اليهودية ٠٠

(٢) فى الاصل عنـــهم .

(٣) ، (٤) بلد بالعراق .

(٥) كلمة عبرية بمعنى الرئيس ٠٠

مشرف بحسن الفعائل ، يشهد حسن خلقه وأدبه، على شرف حسبه ، وفيه قلت :

سبل المعالى لم نزل مطروقه
فى أعلى شخص حل فى دقوقه
يحوى عزريا هو الشريف مباركا
منه المفاخر اصبحت مسروقة
لثنائه عرف كأنفاس الريا
ض أظنها من عرفه مخلوقة

فاما جماعة بغداد فان لبعضهم المجد القديم ، والحسب الحر الصميم ، ولو يصحبهم طبع كريم ، وانما كان يوجد ذلك فى اعيانهم السالفين وأجلائهم الأولين المحترمين ، وأما المحدثون فما اشبهوا آباءهم فى جلالة الأفعال ، وجميل الخصائل وكثرة الديانة وفرط الاحتشام والصيانة .. الخ

وبموت الحريزى أسدل الستار على فترة من أزهى وأجمل فترات الأدب العبرى ، وكان الفضل فى ذلك دون شك للمعاملة الطيبة التى لقيها اليهود من العرب ، هـذه المعاملة التى كان ثمرتها العصر الذهبى للأدب العبرى خلال أربعة قرون .

تمت

فهرس

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٠/٢٧٤٣

ملتزم التوزيع
في الجمهورية العربية المتحدة وجميع أنحاء العالم
الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

مكتبات الشركة بالجمهورية العربية المتحدة

الفرع	العنوان	التليفون / المدينة
١ — فرع شريف	٣٢ شارع شريف	تليفون ٤٠٠١٣ القاهرة
٢ — فرع ٢٦ يوليو	١٩ شارع ٢٦ يوليو	٥٥٠٣٤ القاهرة
٣ — فرع [illegible]	٥ [illegible]	٤٩٣٨٣ القاهرة
٤ — فرع [illegible]	١٣ شارع محمد [illegible]	٢١١٨٧ القاهرة
٥ — فرع الجمهورية	٢٢ شارع الجمهورية	٩١٠٧٤١ القاهرة
٦ — فرع [illegible]	٤٠ شارع الجمهورية	٩١٤٢٣٣ القاهرة
٧ — فرع [illegible]	ميدان الحسين	القاهرة
٨ — فرع الجيزة	١ ميدان الجيزة	٨٩٨٣١١ القاهرة
٩ — فرع أسوان	السوق السياحي	٢٩٣٠ أسوان
١٠ — فرع الإسكندرية	٤٩ ش سعد زغلول	٢٥٩٤٦ الإسكندرية
١١ — فرع طنطا	ميدان الساعة	٥٥٠٤ طنطا
١٢ — فرع المنصورة	ميدان [illegible]	المنصورة
١٣ — فرع أسيوط	شارع الجمهورية	أسيوط

مراكز ووكلاء الشركة خارج الجمهورية العربية المتحدة

الوكيل	العنوان	البلد
١ — مركز توزيع الخرطوم	شارع [illegible]	الخرطوم
٢ — مركز توزيع [illegible]	شارع [illegible]	بيروت
٣ — مركز توزيع [illegible]	ميدان [illegible]	[illegible]
٤ — [illegible]	شارع ٢٩ أيار — دمشق	سوريا
٥ — الشركة العربية للتوزيع	ص ب رقم ٤٢٢٨ بيروت	لبنان
٦ — [illegible]	مكتبة المثنى — بغداد	العراق
٧ — [illegible]	وكالة التوزيع — عمان	الأردن
٨ — [illegible]	دار التوزيع ص ب ١٥٧٢	الكويت
٩ — وكالة المطبوعات	الكويت	الكويت
١٠ — مكتب توزيع [illegible]	شارع عمرو بن العاص — ليبيا	[illegible]
١١ — [illegible]	٣٤ شارع عمرو بن العاص	طرابلس
١٢ — الشركة التونسية للتوزيع		تونس
١٣ — وكالة [illegible]	شارع [illegible]	[illegible]
١٤ — مكتبة [illegible]	[illegible]	البحرين
١٥ — مكتبة [illegible]	ص ب [illegible]	الدوحة
١٦ — [illegible]	مكتبة [illegible] ص ب [illegible]	دبي
١٧ — مكتبة [illegible]	ص ب ٩٧	مسقط
١٨ — [illegible]	مكتبة [illegible] ص ب ٥٠	[illegible]
١٩ — [illegible]	شارع [illegible]	[illegible]
٢٠ — [illegible]	ص ب ٥٠	[illegible]
٢١ — [illegible]	ص ب [illegible]	[illegible]
٢٢ — مكتبة [illegible]	ص ب ٩٠٠	[illegible]
٢٣ — [illegible]	ص ب ٩٤٥	[illegible]
٢٤ — مكتب توزيع المطبوعات [illegible]	[illegible]	[illegible]
٢٥ — [illegible]	[illegible] ص ب ٢٠٠٥	[illegible]
٢٦ — مكتبة [illegible]		[illegible]
٢٧ — مكتبة [illegible]		[illegible]
٢٨ — [illegible]	ص ب رقم ١٥٥	[illegible]
٢٩ — [illegible]	مكتبة [illegible] ص ب ١٨٠	[illegible]
٣٠ — [illegible]	مكتبة [illegible] ص ب ٢٤	[illegible]
٣١ — [illegible]	مكتبة [illegible] ص ب ٢٤٥	[illegible]
٣٢ — مصطفى صالح	ص ب ٤٤	[illegible]

أسعار البيع للجمهور في الدول العربية

سوريا ٥٠ قرش سوري — لبنان ٥٠ قرش لبناني — الأردن ٥٠ فلس — العراق ٥٠ فلس — الكويت ٥٠ فلس — السودان ٥٠ مليم — [illegible] ٥٠ [illegible] — [illegible] ٧٥ درهم — [illegible] ٧٥ فلس — [illegible] ١٠٠ [illegible] — [illegible] ٥٠ [illegible] — أسمرة ٥٠ سنت — الجزائر ٥٠ [illegible]



د. محمد بحر عبد المجيد

- دكتوراه في اللغة العبرية وآدابها من جامعة أكسفورد سنة ١٩٦٦ .
- له مقالات في القصيدة العبرية القديمة والمقامات العبرية في حوليات كلية الآداب
- مدرس اللغة العبرية وآدابها بجامعة عين شمس .

المكتبة الثقافية

(جامعة حرة)

- خلاصة الفكر القومي والإنساني
- تجعل المعرفة متعة تعمق الشعور بالحياة ، وسلاحًا يساعد على الانتصار في معركة الحياة

يشرف على السلسلة

الدكتور شكري محمد عياد

يصدر قريبا :

كيف تقرأ صورة ؟
لغة الشكل الفني